الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
de l'Enseignement Supérieur
a Recherche Scientifique
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
كلية الآداب واللغات
des Lettres et des Langues
قسم اللغة والأدب العربي

التخصص: لسانيات تطبيقية.

التعريف المعجمي في المعجم الجغرافي

معجم البلدان لياقوت الحموي أنموذجا

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالب:

بُشرى عمارة

إشراف الأستاذ

حُسين بوشنب

لجنة المناقشة:

1.	أ/ بورنان عمر	جامعة البويرة	رئيسا
2.	أ/ حسين بوشنب	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
3.	أ/ زاهية سالم	جامعة البويرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022 – 2023م

شكر وإهداء:

شكر:

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ١٥﴾

[سورة الأحقاف١٥]

الحمد لله الذي يّسر لنا سبيل طلب العلم، وأعاننا لإتمام هذا البحث المتواضع، والذي نرجو به نيل القبول والّرضى من لدنه.

وبعد، أشكر الأستاذ المشرف الذي مّدني بالنصائح الّقيمة، والذي يعود له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في تيسير المراد وبلوغه، وكل من ساهم من قريب أو بعيد ولو بدعوة صادقة لإتمام هذا البحث.

إهداء:

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى مؤنسة الفؤاد وبلسم الشقاء، أجلّ نعم الله عليَّ، أمي" حفظها الله".

إلى من غرس في كياني المبادئ الإسلامية، وحفزني على المضي قدما لنيل المبتغى، أبتي" رعاه الله وأمّد عمره في مرضاته".

إلى إخوتي وأخواتي، وكل من صادقت طيلة مشواري الدراسي، أهدي عملي هذا، راجية من الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

حظيت المعاجم العربية باهتمام كبير من قبل الباحثين، ذلك أنها تهدف لمعالجة الكلمة العربية من جوانب شتى، وصون اللغة العربية من اللحن والضياع خصوصا مع ما شهدته من ارتباطها الشديد بالقرآن الكريم وتوقف فهم آيه وإعجازه الرّباني على فهم وإدراك معاني ألفاظه التي هي من صميم اللغة العربية، فكان نتاج هذا الاهتمام ظهور معاجم لغوية ضخمة عُدّت من أنفس كتب التراث العربي متخذة بذلك أصنافا متنوعة مسايرة للتطور الحاصل في سائر المجالات المعرفية ، ومنه عُدّ التأليف المعجمي أعظم خطوة شهدها العرب في مجال التأليف اللغوي.

ونظرا للمكانة السامقة التي يحتلها هذا الصنف من التأليفات في نفوس العرب، والمادة الثرية التي يعالجها، ارتأيت إلى ضرورة الخوض في غمار هذا الإرث اللغوي العظيم والتنقيب في درره من خلال دراسة ومعالجة موضوع: "التعريف المعجمي في المعجم الجغرافي_معجم البلدان لياقوت الحموي أنموذجا_" بوصفه آخر مرحلة بعد جمع وترتيب المادة المعجمية، والذي تكمن أهميته في بيان معاني المفردات وتيسير فهمها على القارئ، أسعى من خلاله إلى الإجابة عن جملة الإشكاليات التالية: عالج ياقوت ضروبا متنوعة من التعريف المعجمي بغية كشف مكنون اللفظة للقارئ وإزاحة الغموض الذي يكتنفها، فما المقصود بالمكون التعريفي في المعجم الجغرافي، وفيم تتمثل أبرز مواصفاته؟ ثم ماهي تقنيات التعريف المعتمدة في معجم البلدان، وما الإضافات التي قدّمها ياقوت للقراء من خلال معجمه؟

مقدمة:

ومن أهم البواعث والأسباب الدافعة لاختيار عنوان بحثنا هذا ما يلي: الرّغبة الملحّة في دراسة قضية التعريف المعجمي في معجم البلدان والانتفاع بمعارف ياقوت الجّمة، إضافة إلى قلة البحوث التي تناولت قضية التعريف المعجمي في المعاجم الجغرافية.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي بشكل كبير في كلا الجانبين النظري والتطبيقي، مع الاستعانة بالمنهج التحليلي في الجانب التطبيقي، وذلك لتحليل بعض التعريفات الواردة في معجم البلدان وتوضيح طرق اختلافها.

وللإجابة عن هذه الإشكاليات، ودفع الغموض الحاصل، سلكت في ذلك منهجا خاصا بوضع خطة مكونة من فصلين وخاتمة، أما الفصل الأول المخصص للجانب النظري فقد عنونته بـ" مهاد نظري (المعجم الجغرافي ماهيته ومواصفاته)، وفيه تعرضت للحديث عن المعجم بصفة عامة والمعجم الجغرافي بصفة خاصة، كما عالجت المكون التعريفي في المعجم الجغرافي وطريقة وروده.

أما الفصل الثاني الذي عنونته بـ" التعريف المعجمي في معجم البلدان" فخصصته للحديث عن الجانب التطبيقي، وتم خلاله التعريف بياقوت الحموي وكتابه الجزيل الفائدة " معجم البلدان" ومن ثّمة معالجة المكون التعريفي في المعجم وتحديد أبرز مواصفاته.

وأخيرا، خاتمة تضم أهم النتائج المتوصل إليها عقب هذا البحث.

وقد استعنت في سبيل ذلك على جملة من المصادر والمراجع التي كان لها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في فهم كثير مما استعصى علّي فهمه بداية ، لعل أهمها: "تاريخ الأدب الجغرافي

العربي" لأغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي، " دراسة ياقوت الحموي مؤرخا من خلال كتابه معجم البلدان" ليوسف بن عبد العزيز الحميدي.

كما لا يخلو أي بحث من جملة الصعوبات التي تعيق الباحث وتعسر له طريق الوصول، ولعل أبرز ما لقيته من صعوبات يكمن في: قلة المصادر التي تناولت قضية التعريف المعجمي في المعاجم الجغرافية على وجه الخصوص.

وفي الأخير أحمد الله على توفيقه لي لإتمام هذا البحث، وأشكر كل من كان له يد العون لإنجازه.

الفصل الأول: المعجم الجغرافي ماهيته ومواصفاته.

- **المعجم مفهومه، أنواعه وشروطه.**
- **المعجم الجغرافي تعريفه ومواصفاته.**

أولا: مفهوم المعجم:

أ- **لغة:** ورد في لسان العرب لابن منظور حول مفهوم "عجم": «العُجم والعَجم: خلاف العُربُ والعَرب... يقال عَجَمِيّ وجمعه عَجَم وخلافه عَربيٌّ وجمعه عَرَبٌ، ورجل أعجم وقوم أعجم... والعُجم: جمع الأعجم الذي لا يفصح... الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين عن كلامه... والأنثى عجماء... ورجل أعجمي وأعجُم إذا كان في لسانه عُجمة... والأعجم الذي في لسانه حُبسة وإن كان عربيا... وأعجمت الكتاب: خلاف قولك أعربته... وكل من لم يفصح بشيء فقد أعجمه»[1]، فالمعجم إذن مشتق من مادة عَجَم التي توحي إلى اللَّبس والغموض وعدم البيان، وهو عين ما ذهب إليه ابن فارس في تعريفه له قائلا: «الرجل الذي لا يفصح هو الأعجم »[2]، وبناءً على هذا يتضح أنّ عَجَم في اللغة تعني الإبهام وعدم الإفصاح والغموض، فإذا أُضيفت لها الهمزة أحالت إلى عكس ذلك أي إلى الإبانة والإفصاح والوضوح، وقد ورد في القرآن الكريم قوله جلّ ثناؤه: **{لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ}** [سورة النحل,١٠٣].

ب- **اصطلاحا:** لقد اختلف الرواة في معرفة أول من استخدم مصطلح" معجم" بشكل صريح، وذلك عائد للتشابه الحاصل بينه وبين مصطلح" قاموس"، غير أن هناك من قال بأن: «علماء الحديث النبوي، هم الأوائل الذين ألفوا الكتب بترتيب حروف الهجاء. وكان الإمام البخاري صاحب الصحيح، وهو من رجال القرن الثالث للهجرة، من رواد التأليف المعجمي»[3]، وقد أجمع أغلب العلماء على كون المعجم عملية جمع لمفردات اللغة وفق نمط ترتيبي معين مع إرفاق كل ذلك

---

[1]- ابن منظور جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، ج 12، د.ط، دار صادر، بيروت 1955. ص385-389.

[2]- ابن فارس ابن زكريا، المقاييس في اللغة، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت. ص342.

[3]- عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ط2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1994. ص32.

بشروحات وافية، ولعلّ أشهر المعجميين العرب الذين ذاع صيتهم نجد: الخليل بن أحمد الفراهيدي والجواهري والأزهري وابن منظور والفيروز آبادي...

يعرفه أحمد عبد الغفور العطار في مقدمة الصحاح قائلا: «المعجم كتاب يضم أكبر عدد ممكن من مفردات لغة ما مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا، إما على حروف الهجاء أو الموضوع، والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها»[1]، فالمعجم حسبه كتاب يعالج مفردات لغة ما بإيراد شروحات تفسر معناها وتجلي عنها كل غموض يكتنفها وذلك وفق ترتيب خاص ينتهجه المعجمي منذ البداية، كما يعرفه عبد القادر عبد الجليل قائلا: «مرجع يشتمل على ضروب ثلاثة: وحدات اللغة مفردة أو مركبة، النظام التبويبي، الشرح الدلالي. وعلى هذه المرتكزات الثلاثة يقوم المعجم بشكله العام من حيث كونه وعاء يحفظ متن اللغة وليس نظاما من أنظمتها، ذلك لأن المعنى المعجمي هو جزء من النظام الدلالي للغة، والمرجع في التزود واغتناء الذهن الإنساني، حينما تستجد الحاجة وتمليها متطلبات الفكر»[2]، نفهم من هذا أن المعجم بمثابة المرجع أو الوعاء الذي يصون اللغة من الضياع وذلك بحفظ كلماتها ومادتها الأصيلة على مدى القرون والأجيال وشحذ العقول بالمادة اللغوية الثرية، ومنه عُدّ المعجم «أعظم خطوة في

[1]- أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، ط2، دار العلم للملايين. بيروت 1979. ص38.

[2]- عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، ط1، دار الصفاء. عمان 1999. ص37.

التأليف اللغوي»[1]، إذ هو الكتاب الذي يضم بين دفتيه كما زاخرا من مفردات اللغة مصحوبة بشروحات وافية تجلي عنها كل لبس قد يكتنفها.

_ **أنواع المعجم:** تتعدد أنواع المعاجم تبعا لتعدد أهدافها ومناهجها وهي في تطور مستمر بتطور الزمن وتفتّح الفكر الإنساني على الثقافات الجديدة، والمعاجم عموما لا تكون على شاكلة واحدة ثابتة، وإنّما تتنوع بحسب الغرض الذي يصبو إليه المؤلف والطريقة التي يختارها لترتيب مادته، فالمعجم إذن يتخذ أصنافا متعددة وهو من حيث العموم والخصوص على ضربين اثنين هما:

أ- **المعجم العام:** يتسم هذا النوع من المعاجم بالتوسع في بسط مادته ومعالجتها من جوانب عدة، إذ يعرف كونه: «المعجم الذي يحاول تغطية أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة... إذ يجب أن تكون جميع فروع المعرفة ممثلة في المعجم العام»[2]، أي أنه يقوم برصد كم زاخر من مفردات اللغة دون النظر إلى مجال التخصص، فهو يتناول كل ما من شأنه خدمة معجمه وإفادة القارئ، حيث: «يشمل كل ما يمكن جمعه من مواد اللغة قديمها وحديثها من المستعمل أو المهمل، وقد يتناول المعارف بأنواعها دون حدود»[3]، فالمعجم العام إذن ينهل من شتى المعارف ويتضمن كل الجوانب المحيطة بالإنسان اجتماعية، اقتصادية، سياسية...إلخ، كما يصنف ضمن: «المعاجم التي تتناول ألفاظ اللغة العربية بشرح معانيها وبيان دلالاتها وأوجه استعمالها معززة بالشواهد من كلام العرب أو القرآن الكريم أو الحديث الشريف، وقد تشير إلى قياس أو اختلاف اللهجات أو القراءات أو قاعدة

[1]- أحمد عبد الغفور عطار، المرجع السابق، ص37.

[2]-علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، د.ت، ط2، جامعة الملك سعود، الرياض 1991. ص36.

[3]- ابن حويلي الأخضر ميدني، المعجمية العربية في ضوء مناهج البحث اللساني النظريات التربوية الحديثة، د.ت، دار هومة. الجزائر 2010. ص93.

نحوية أو صرفية»[1]، فيفيد هذا النوع من المعاجم الباحث الذي يكون بحوزته لفظ معين ويرغب بالبحث في ماهيته، طريقة اشتقاقه ومادته الأصيلة، ومدى اعتماده في الاستعمال اللغوي وشيوعه مع الاستعانة بالشواهد الواردة فيه تقريبا للمعنى، ولعل أول من ألف في هذا الضرب من المعاجم واهتدى بفطنته وحذقه بالجانب الصوتي لطريقة خاصة مميزة العالم الفذ "الخليل بن أحمد الفراهيدي" انطلاقا من تدرج الصوت في الجهاز النطقي، وقد تبعه في ذلك كثيرون من بعده، في حين نجد من اعتمد الترتيب الألفبائي إما باعتماد أوائل الكلمة نحو أساس البلاغة للزمخشري، وإما بمراعاة أواخر الكلمة كالصحاح للجوهري.

ب- **المعجم المختص:** هو المعجم الذي يعنى بمعالجة فرع محدد من فروع المعرفة، ويعرف أنه من ضمن: «معاجم انتقائية محدودة لمعالجة جزء من المفردات أو الموضوعات من ميدان ما»[2]، فهو يختص باختيار مفردات علم معين ومعالجتها خلاف المعجم العام الذي ينهل من جميع المعارف، والمعجم المختص: «كتاب يتضمن رصيدا مصطلحيا بموضوع ما، مرتبا ترتيبا معينا ومصحوبا بالتعريفات الدقيقة الموجزة، ومعززا_ما أمكن_ببعض الوسائل البيانية المرافقة "كشافات، سياقات، صور، جداول..." التي تساعد على توصيل المفهوم إلى المتلقي بأفضل صورة ممكنة»[3]، لذا فهو يمثل مرجعا هاما للباحث، كونه يقتصر على معالجة مصطلحات فرع معين من فروع المعرفة مقرونة بالشروحات الوافية مع الاستعانة في بعض الأحيان بالأشكال التوضيحية في حال تعسر الفهم على القارئ، وقد حدّد المختصون ماهية هذا الصنف من المعاجم بدقة في قولهم: «المعاجم المختصة هي معاجم ليست _في الغالب_من وضع اللغويين المعجميين، بل هي من وضع العلماء

---

[1]- هاني الصحاني، موضوعات لغوية، د.ت، دار العصماء، سوريا 2008. ص5.

[2]- ابن حويلي الأخضر، المرجع السابق، ص93.

[3]- جواد حسني سماعنة، المعجم العلمي المختص، ج4، مجلة مجمع اللغة العربية، ع75، دمشق. ص965.

وهي لا تشتمل على ألفاظ اللغة العامة بل على مصطلحات العلوم والفنون، فهي إذن معاجم في المصطلحات العلمية أو الفنية أو فيهما معا»[1]، ومنه يظهر الفرق الكامن بين المعجمين" العام والخاص" كون المعاجم المختصة تصب جل اهتماماتها على مفردات علم معين وتكون من إبداع عالم مختص في المجال متمكن منه على عكس المعاجم العامة التي تحيط بألفاظ اللغة من شتى الجوانب وبالتالي تتناول مادة دسمة يرتشف منها الباحث حيث شاء. ولعل أول ظهور للمعجم المختص حسب ما تناقلته الروايات: «... كتاب الأدوية المفردة لأبي يعقوب إسحاق بن عمران (ت279هـ/892م)... وهذه المؤلفات العربية في جوهرها معاجم علمية مختصة بالمعنى الدقيق...»[2]، والمعجم المختص بدوره يتفرع إلى نوعين اثنين هما:

- **المعجم العلمي المختص:** ويقصد به المعجم الذي يهتم بمعالجة مصطلحات علم من العلوم مرفقة بتعاريفها الدقيقة كعلم الطب، الفلك، الرياضيات...وقد وصفه العلماء بأنه: «أرقى ما وصلت إليه حركة التأليف المعجمي المختص في التراث العربي»[3]، وهذا النمط على شكلين إما علمي محض، نحو: «كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار(646هـ)»[4]، ومنها ما هو خليط بين الطب وأحد جوانب المعرفة الإنسانية، مثل: «القانون في الطب لابن سينا(429)»[5]، وبهذا كان قبلة لكثير من العلماء كونه يمدهم بالمعارف الدقيقة التي تخدمهم في شتى المجالات وتوسع من جانبهم المعرفي.

---

[1]- إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، د.ت، ط1، دار الغرب الإسلامي. بيروت 1993. ص6

[2]- إبراهيم بن مراد، دراسات في المعجم العربي، د.ت، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987. ص11.

[3]- جواد حسني سماعنة، المرجع السابق، ص969.

[4]- نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- نفسه، ص970.

- **المعجم الفني المختص:** يقتصر هذا النوع من المعاجم على معالجة مصطلحات فن من الفنون المتعلقة بالحياة الإنسانية التي تخدم المتلقي وتوسع من ثقافته وتمده بالرصيد اللغوي الهائل، وقد عرف إبراهيم بن مراد هذا الصنف من المعاجم قائلا: «إنّ هذه المعاجم الفنّية وسط بين معاجم اللغة العامّة، والمعاجم العلميّة المختصة...»[1]، ومجمل القول حول ما سبق، أن هناك نوعان من المعاجم: العامة التي تشغل جميع أصناف العلوم وتسعى لتزويد القارئ بالثروة اللغوية الهائلة، والخاصة التي تلم بجانب معين من المعارف الإنسانية وهي في ذلك على ضربين: معاجم علمية مختصة ومعاجم فنية لغوية.

_ **شروط المعجم:** تقوم المعاجم عموما على شرطين أساسين هما: الجمع والوضع، وهما عند المختصين «مصطلحان يشملان في مفهومهما المسائل المتصلة بالمدونة المعجمية، أي الرصيد اللغوي المتجمع للمؤلف المعجمي وبالمنهج الذي يعتمد في تخريج ذلك الرصيد»[2]، فيقوم المعجمي بداية بجمع المدونة التي ينوي اعتمادها لبناء معجمه من مصادر مختلفة وشواهد متنوعة خدمة للقارئ وتلبية لرغباته، وتتعلق عملية الجمع عموما بجملة من المسائل: «أولاها: هي المصادر التي يعتمدها المعجمي في جمع مدونته، وثانيهما: هي المستويات اللغوية التي يحددها فلا يخرج عنها في التدوين، والمستويات اللغوية صنفان أولها بحسب درجة الكلمة من التعميم والتخصيص... وثاني الصنفين يكون بحسب درجة الكلمة من الفصاحة...»[3]، ترتبط عملية الجمع ارتباطا وثيقا بمسألة المصادر التي سيعتمدها المعجمي وينهل منها معارفه ذلك لأنها تشكل اللّبنة التي سيبني

[1]- إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص8.

[2]- نفسه، ص69.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

عليها معجمه، إضافة إلى مسألة المستويات اللغوية التي سيقع اختيار المعجمي عليها من اعتماد عمومية أو خصوصية اللفظ اللغوي والتدقيق في فصاحته ومدى شيوع استعماله في الوسط الاجتماعي، وهكذا يتسنى للمعجمي غربلة المهمل من المستعمل والغث من السمين وتخريج مادته للقارئ في أبسط صورها. أما فيما يخص العملية الثانية المتجسدة في عملية الوضع والتي تضم بدورها عمليتي" الترتيب والتعريف"، فتعرف أنها: «المنهج الذي يعتمده المؤلف المعجمي في تخريج المدونة التي جمعها في المعجم»[1]، أي الطريقة التي يتبعها المؤلف من بداية تأليفه إلى غاية تخريج معجمه للقراء، وتقوم هذه العملية حسب إبراهيم بن مراد على ركيزتين أساسيتين هما: الترتيب والتعريف. فالترتيب: المنهج المعتمد لتصنيف مداخل المعجم ويكون غالبا على صنفين، إما بحسب حروف المعجم كما ذكر المختصون أنّ: «الأشهر والأكثر اتباعا هو الترتيب على حروف المعجم»[2]، وإما بحسب الموضوعات«...وذلك بأن تصنف المدونة بحسب المجالات الدلالية أو المفهومية فيفرد كل مجال بباب أو بكتاب»[3]، ثم إن الترتيب بحسب حروف المعجم متنوع، فيكون إما بتتبع مخرج الصوت في الجهاز النطقي مثل معجم العين للفراهيدي، وإما باعتماد الترتيب الألفبائي بحسب أوائل الحروف، مثل: **«**التصنيف الذي وضعه نصر بن عاصم الليثي(ت89هـ/707م) أي بحسب تتابع "أ، ب، ت، ث...»[4]، وإما الترتيب بحسب أواخر الكلمة، وتعرف: «بنظام التقفية من القافية»[5]. هذا فيما يخص الترتيب بحسب حروف المعجم أما فيما

[1]-إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص105.

[2]- نفسه، ص106.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- نفسه، ص106-107.

[5]- نفسه، ص107.

يخص الترتيب بحسب الموضوعات أو ما يطلق عليه اسم: «الترتيب التصنيفي»[1]، فيستخدم هذا الصنف عادة في المعاجم العلمية المختصة كحاجتهم إليه لترتيب الأدوية والأمراض بالتدرج. ولثاني الركيزتين من عملية الوضع (التعريف) أهمية بالغة في بناء المعجم، بوصفه: «الركن الأساسي في كل معجم سواء كان عاما أو مختصا، وبدونه لا يكون المعجم في نظرنا معجما بالمعنى التام»[2]، وعليه كان وجود التعريف لازم لا غنى للمعجمي عنه بأي شكل من الأشكال وإلا فلا قيمة للمعجمالمؤلَّف، إذ به يتحدّد معنى الكلمة المراد شرحها وتفسير معناها وبه يزاح الغموض الذي يكتنفها في ذهن القارئ، ويكون غالبا مقرونا بالشواهد والحجج التي من شأنها تأكيد صحة ما ذهب إليه المعجمي.

_ **أشكال المعجم:** لقد تنوعت أشكال المعجم العربي تبعا لتنوع المادة المعالجة والغرض الذي يصبو إليه المعجماتي من وراء تأليفه، ولذلك أولى العرب عناية خاصة بالتأليف المعجمي وتفننوا في أشكال تخريجه خصوصا وأنه عدّ بمنزلة «الكتاب الذي يفتح للناس ما استبهم من الكلام»[3]، فصار بذلك قبلة لكثير من الباحثين وحظي بمكانة كبيرة في نفوس القراء، وقد بيّن أحمد مختار عمر تفنُّن العرب في إيجاد أشكال متنوعة لتأليف المعاجم بقوله: «كان العرب منطقيين حينما لاحظوا جانبي الكلمة وهما اللفظ والمعنى، فرتبوا معاجمهم_إجمالا_إما على اللفظ، وإما على المعنى»[4]، فتمكنوا بذلك من إخراج صنفي المعاجم: معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، ولم تتوان

---

[1]- إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص121.

[2]- نفسه، ص133.

[3]- عدنان خطيب، المرجع السابق، ص31.

[4]- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، د.ت، ط6، عالم الكتب، القاهرة 1988. ص175.

جهودهم عند هذا الحد بل وأبدعوا في ضروب ترتيب المادة المعجمية، فنجد في معاجم الألفاظ مثلا تمكنوا من إيجاد ثلاثة أنواع لتنظيم المادة المعجمية، منها:«الترتيب الصوتي الذي يراعي التشابه الصوتي للأحرف وتدرج المخارج»[1]، أي بمراعاة تدرج الأصوات في الجهاز النطقي انطلاقا من الحلق وصولا إلى الشفتين، وهي الطريقة التي ابتدعها الفراهيدي كما ذكرنا آنفا، إضافة إلى«الترتيب الألفبائي الذي يراعي التشابه الكتابي للأحرف فيضع الثلاثيات متجاورة ثم الثنائيات ثم ينتهي بالأحرف المفردة»[2]، أي باعتماد الترتيب الألفبائي "ا، ب، ت، ث..." ويراعي في ذلك أصل الكلمة فيصنفها بالتدرج من الثلاثي إلى الثنائي فالأحرف المفردة، كذا نجد الترتيب الأبجدي «وهو أقدم ترتيب عرفه العرب، هو ترتيب فينيقي»[3]، يقصد بالترتيب الأبجدي اعتماد التسلسل "ا، ب، ج، د، هـ..." وهو معتمد بكثرة من قبل المعجميين العرب. أما بالنسبة لمعاجم المعاني أو ما يسمى بمعاجم الموضوعات فتتميز عن معاجم الألفاظ في ترتيب مادتها وطريقة عرضها، حيث: «هذا النوع من المعاجم الذي يرتب ألفاظه بحسب الموضوعات كان أسبق في الوجود...أخذت في البداية شكلا خاصا يتمثل في كتيبات صغيرة يتناول كل منها موضوعا واحدا من الموضوعات...كخلق الإنسان، والخيل...»[4]، ولهذا الصنف من المعاجم أهمية كبيرة لدى القراء نظرا للمادة الثرية التي يتناولها وأسبقيته في الوجود على سائر المعاجم، يهتم عموما بجمع الألفاظ التي تصب في موضوع واحد نحو: فقه اللغة للثعالبي، ويتم الترتيب بحسب الموضوع فقط على خلاف معجم الألفاظ الذي اتخذ أشكالا متعددة.

---

[1]- أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص175-176.

[2]- نفسه، ص175-176.

[3]- نفسه، ص176.

[4]- نفسه، ص288.

_ **تقنيات المعجم:** يقوم المعجم العربي عموما على جملة من الإجراءات الخاصة، هي التي تضبط مساره المعجمي وتوفر عنه الجهد والوقت والتشتت الذي قد يعتريه لحظة عزمه على التأليف، وتتمثل خطوات إنشاء المعجم في ما يلي: **«أولا: جمع المادة»**[1]، وهي أولى الخطوات التي حظيت بعناية خاصة من لدن القدماء كونها تهدف لصون اللغة من الضياع والحفاظ على الموروث اللغوي الفصيح من اللحن، فينهل المعجمي خلالها مادته ومعارفه من مصادر مختلفة "قرآن كريم، حديث نبوي، كلام العرب شعرا ونثرا..."، ثم بعد الإلمام بالمادة المراد معالجتها ينتقل إلى:**«ثانيا: اختيار المداخل أي الوحدات المعجمية التي سيتضمنها المعجم»**[2]، فيقوم في هذه المرحلة بعملية تمحيص واختيار للوحدات المراد معالجتها باتباع ترتيب خاص كالترتيب الألفبائي أو الأبجدي، ثم يتجه نحو خطوة **«ثالثا: تأليف المداخل أو معالجة المادة من نواحيها المختلفة كالمعنى والنطق، والهجاء، والاشتقاق، ودرجة الاستعمال»**[3]، وخلال هذه المرحلة يتم إيراد السمات الخاصة المميزة للمادة تحت المدخل الواحد من مشتقات ومعان وطريقة النطق السليمة ومعالجتها من الناحية الصرفية والدلالية ومدى شيوع اللفظ في الاستعمال اللغوي، وقد يصحب ذلك ذكر الشواهد من القرآن أو كلام العرب... إن تطلب الأمر ولاحظ المعجمي تعسر استيعابه لدى المتلقي، وبناءً على هذا يكون سير المعجمي وفق هذه التقنيات المحددة من قبل العلماء ضرورة لا مجال للحيد عنها بأي شكل من الأشكال وإلا عُدّ معجمه هباءً لا قيمة له.

[1]- أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص167.

[2]- نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

_ **التعريف في المعجم المختص:** يُقصد بالتعريف في المعجم أي ما يصحب المصطلح من شروحات وتفسيرات توضح معناه وتُجلي عنه كل غموض، يُعرف في المعجم الوسيط كونه: «تحديد الشيء بذكر خواصه المميزة»[1]، وهو نفسه ما جاء في قولهم: «القول الشارح»[2]، أي توضيح معنى اللفظ حتى يصبح واضحا جليا في ذهن القارئ بذكر السمات المميزة له عمّا سواه، وللتعريف المعجمي جملة من المواصفات والشروط ينبغي على المعجمي مراعاتها جيدا، لعل أهمها: «الاختصار والإيجاز، السهولة والوضوح، تجنب اللّور: " كقول المعاجم القديمة، حَُبَ الرجل صار حسيبا"، تجنب الإحالة إلى مجهول، مراعاة النوع الكلامي للكلمة المعرفة، ينبغي في تفسير الأسماء المادية أن يشار إلى الشكل الخارجي والوظيفة والخصائص المميزة»[3]، وأثناء ذلك يتوجب على المعجمي مراعاة مستوى الفئة المستهدفة فيجعل نفع معجمه نصب عينيه كما نّبه أحمد مختار عمر، يتخذ التعريف المعجمي أشكالا متنوعة فهو لا يكون على صورة واحدة ثابتة، إذ نجد: «الشرح بالتعريف، الشرح بتحديد المكونات الدلالية، الشرح بذكر سياقات الكلمة، الشرح بذكر المرادف»[4]، وقد يلجأ المعجمي إلى طرق أخرى مساعدة كاعتماده «الشرح باستخدام الأمثلة التوضيحية، الشرح باستخدام الصور والرسوم، اللجوء إلى الشرح التمثيلي أو التعريف الظاهري، الشرح بالإحالة»[5]، يظهر ممّا سبق أن التعريف خاصية مميزة في المعجم المختص ولا يمكن الاستغناء عنه كونه يشكّل أهم الركائز التي يقوم عليها المعجم، وللمعجمي حرية الاختيار في

---

[1]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج2، ط2، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1973. ص595.

[2]- محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، د.ت، دار النهضة العربية، بيروت 1970. ص61.

[3]- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، د.ت، ط2، عالم الكتب، القاهرة 2009. ص123-126.

[4]- نفسه، ص120.

[5]- نفسه، الصفحة نفسها.

اعتماد أي طريقة من طرق التعريف لتبسيط المفردة وشرحها، وهناك طرق متعددة للتعريف كما تقدّم بياننا لها، لعل أهمها: طريقة الشرح بالتعريف ويتم فيها تقديم مفهوم للكلمة بحيث يكون مفهوما شاملا مانعا يجلي عنها كل غموض نحو تعريف الفراهيدي: «النار: الشديدة التأجج والالتهاب...»[1]، وقد يكتفي المعجمي بتحديد المكونات الدلالية أي: «تحليل المحتوى الدلالي للكلمة إلى عدد من العناصر أو الملامح التمييزية، التي من المفترض ألا تتجمع في كلمة أخرى سوى الكلمة المشروحة، وإلا كان اللفظان مترادفان»[2]، ويتم هنا تمييز المفردة عن غيرها من خلال ذكر أهم العناصر والخصائص الجوهرية المميزة التي تصف ماهيتها كالجنس والنوع... بحيث لا تدخل غيرها معها في التعريف ذاته،كما يرد التعريف بذكر سياقات الكلمة، إذ لا يُفهم معنى الكلمة إلا بما يجاورها من الكلمات وتعدد السياق يصحبه بالضرورة تعدد المعنى، مثال ذلك ما ورد في معجم المحيط في اللغة تعريف لفظ "أم" قائلا : «أم القرى: مكة. وأم القرآن: كل آية محكمة من آيات الشرائع والفرائض والأحكام. وأم الكتاب: فاتحة الكتاب، وقيل ما في اللوح المحفوظ. وأم الرمح: لواؤه وما لُفّ عليه. وأم الحرب: الراية...»[3]، فمع كل سياق جديد تظهر فيه كلمة "أم" تلبس بذلك معنى جديدا مخالفا لما سبقه وهو ما يعرف بتعدد المعنى تبعا لتعدد السياق، وقد يرد التعريف بشكلي المرادف والمضاد، أما التعريف بالمرادف فيذكر فيه المعجمي اللفظ المماثل والمكافئ للكلمة المراد شرحها بدقة، نحو: «السمو: الارتفاع والعلو»[4]، أما التعريف بالمضاد فيورد فيه المعجمي

---

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين (باب الحاء والجيم والميم)، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. ص87.

[2]- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص126.

[3]- الصاحب بن عباد بن العباس، المحيط في اللغة، ج2، ص487.

[4]- أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج6، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت 1987. ص2382.

نقيض الكلمة، بحيث يظفر القارئ المتأمل بمعنى المفردة من خلال ملاحظته للنقيض، نحو: «الترح: هو ضد الفرح»[1]، يظهر مما سبق أن التعريف ضرورة لا مجال للاستغناء عنه بأي شكل من الأشكال كونه مبتغى القراء من وراء مطالعتهم للمعاجم والبحث والتنقيب فيها.

ثانيا: المعجم الجغرافي: يقصد بالمعجم الجغرافي: «المرجع الذي يشتمل على المصطلحات والكلمات، والظاهرات الجغرافية والبشرية مرتبة ترتيبا خاصا مع بيان شرح كل مصطلح أو كلمة أو ظاهرة جغرافية، كما يتضمن المعجم الجغرافي أيضا المرجع الذي يذكر أسماء الأماكن والبلدان ومواقعها وصفاتها مرتبة ترتيبا خاصا»[2]، فالمعجم الجغرافي إذن هو الكتاب الذي يعالج الظاهرات الجغرافية بالدرجة الأولى، ويلم بكل ما يحيط بالحياة الإنسانية من ظواهر طبيعية، بشرية، اقتصادية، سياسية... كمايُعنى كذلك بدراسة أسماء الأماكن والبلدان ومواصفاتها وبما يتميز كل بلد من ثروات طبيعية وغيرها...ويسلك المعجمي في سبيل ذلك منهجا خاصا لترتيب مادته وتنظيمها شأنه شأن المعاجم الأخرى من الترتيب الألفبائي أو الأبجدي أو غيرهما، إذ لا قيمة للمعجم إلا بتخريجه منظما تيسيرا على القارئ عملية بحثه وتنقيبه.

_ **دوافع تأليفه:** لقد أولى العلماء العرب عناية خاصة بالتأليف في صنف المجال الجغرافي، كونه يسهم وبشكل كبير في معرفة أسماء البلدان والأماكن والسبل المتعددة، وقد حدّد الدارسون جملة من الأسباب والعوامل المحفزة على التأليف المعجمي الجغرافي، أهمها ما يلي:

---

[1]- ابن فارس أحمد بن زكريا أبو الحسن، مجمل اللغة، ج1، تح: زهير عبد المحسن سلطان، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت 1986. ص148.

[2]- حسن عايل أحمد يحي، معاجم أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة العربية السعودية (دراسة تحليلية وصفية)، جامعة الملك عبد العزيز، كلية المعلمين بمحافظة جدة, ص2.

- **العامل الديني:** لعب العامل الديني دورا وتأثيرا بارزا في ظهور المعجم الجغرافي، ذلك أنه يسهم في وصف الطرق الآمنة للحجاج لتأدية ما عليهم من المناسك الدينية بالاستناد على ما ورد في المعاجم الجغرافية من معلومات وخرائط توضيحية... حيث إنه «...من فروض الإسلام حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، أي إذا ساعدت الظروف وكانت الطرق مسلوكة»[1]، ولم يتوقف العامل الديني على فريضة الحج فقط بل وارتبط أيضا بفريضتي الصوم والصلاة كما أورد العلماء من خلال دراساتهم أنّ: «تحديد بداية الصوم ونهايته ومواقيت الصلوات الخمس استدعى معرفة جيدة بالفلك والرياضيات... واختلفت القبلة فيما يتعلق بالصلاة أو بناء المسجد من بلد إلى آخر وارتبط تحديدها بمعرفة خط طول وعرض مكة والنقطة المعينة»[2]، ومن هنا أدرك المسلمون قيمة الجغرافيا ومدى حاجتهم إليها لتسيير شؤون دينهم ومصالحهم، إذ استعانوا بها لتحديد مواقيت الصلاة والصوم من معرفة لاتجاه القبلة ورسم طرق آمنة لأداء الحج بكل يسر...
- **العامل السياسي:** لقد أدى اتساع رقعة الدولة الإسلامية منذ الفتوحات إلى بروز مصطلحات جديدة في شتى الميادين، كما قال بذلك علماء كُثر أنّه: «لّما امتدت الفتوحات واتسعت رقعة الدولة مسّت الحاجة إلى مصطلحات إدارية وسياسية جمة، فاقتبسوا بعضها من الألفاظ الأعجمية...مثل: كلمات دينار ودرهم...والإمارة والّدولة والشرطة والحجابة وكثير غيرها»[3]، وتعسُّر فهم مدلول هذه المصطلحات وصعوبة التعامل بين الناس هو ما دفع المعجمي الجغرافي إلى معالجتها والسعي

[1]- أغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج1، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، د.ط، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية 1957. ص20.

[2]- نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، د. ت، ط3، دار صادر، لبنان 1955. ص19.

لتقديم شروحات وافية تفسر معناها وتجلي عنها الغموض الذي يكتنفها ومنه تيسير التعامل بين الأمراء والتجار وعامة الناس.

- **العامل الاجتماعي:** لقد أدى احتكاك العرب بغيرهم من الشعوب الأعجمية إلى دخول مفردات جديدة لم يكن للعرب عهد بها، حيث ظهر في اللغة العربية كما أورد اللغويون«ما عرف بالاقتراض اللغوي نتيجة تأثر العرب بحضارات الشعوب الأخرى...»[1]، فانبثق عن هذا الاحتكاك والتعامل مع الأعاجم تجاريا واقتصاديا وسياسيا... ظهور عادات وتقاليد جديدة ومفردات دخيلة متنوعة عند العرب لا يمكن تجاهلها، وهنا رأى المعجمي الجغرافي ضرورة تدوين ذلك لئلا تُستخدم تلك المصطلحات الدخيلة على أنها عربية الأصل ومنه يتم تقديم شروحات وتفسيرات وافية لها.
- **العامل التجاري:** يعد هذا العامل من بين أهم العوامل المحفزة على التأليف المعجمي الجغرافي، وذلك لحاجة العرب عامة والعجم خاصة إلى معرفة المسالك البرية والبحرية لنقل السلع والبضائع ومنه ممارسة التجارة في مختلف بقاع الأرض، حيث: «استخدمت التجارة الطرق البرية والبحرية على السواء، وتأتى من هذا ربط أقاصي أراضي الخلافة بعضها ببعض، بل أن التجارة تجاوزت تلك الحدود فجذبت في فلكها أواسط إفريقيا وشمال شرقي أوروبا وجنوب شرق آسيا»[2]، فالمعجمي الجغرافي إذن يسعى إلى خدمة التجار من خلال وصف الطرق البرية والبحرية الآمنة التي تساعدهم على التجارة بسهولة وذلك بتقديم شروحات أو برسم أشكال توضيحية.
- **العامل الثقافي:** لقد تمكن المعجميون الجغرافيون بفطنتهم من ملاحظة الفصاحة والثروة اللغوية الهائلة التي كان يتمتع بها العرب قبل دخول الأعاجم فارتأوا إلى ضرورة تدوين كل ما يخدم اللغة

---

[1]- أحمد عبد الرحمان عباد، عوامل التطور اللغوي، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان 1983.ص102.

[2]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص19.

العربية خشية ضياعها من بين أيديهم وتعسر فهم مفرداتها مستقبلا، وقد بّين المختصون على أنه: « من أسباب تأليف المعاجم وفوائدها...اكتساب ثروة لغوية كبرى، لا سّيما عند تعدد مدلولات الكلمة واختلاف معانيها بحسب سياقها وذلك دليل على سعة وشمول اللغة العربية، وأنها لغة حية ولود معطاء لديها القدرة على تلبية مطالب الحياة ولا غرو فهي لغة القرآن الكريم»[1]، وبناءً على هذا أُلّفت المعاجم الجغرافية بهدف الحفاظ على هذا الإرث الثقافي الثمين ونفع الأجيال القادمة بالرصيد اللغوي الثري، ويضم العامل الثقافي أيضا عامل الترجمة الذي لعب هو الآخر دورا كبيرا في نشراللغة العربية حيث يُذكر أنه: «منذ القرن الحادي عشر بدأت في أسبانيا ترجمة المصنفات العربية في الفلك والرياضيات إلى اللغة اللاتينية... ومهما يكن من شيء فإنّ أوروبا قد تعرفت بفضل هذه الترجمات على الجغرافيا الفلكية عند العرب قبل زمن طويل من نشأة علم الاستعراب»[2]، وبهذا أسهمت الترجمة في اطلاع غير العرب على مؤلفات العرب ومنه تم معرفة جوانب عديدة من حياة العرب وتعاملاتهم التجارية والسياسية وكذا أسماء المناطق والسبل المتنوعة وما توفر عندهم من الخيرات العظيمة.

يظهر مما سبق أن ظهور المعجم الجغرافي لم يكن من محض الصدفة وإنما جرّته حوافز عديدة كانت سببا في إبداع هذا الصنف من التأليفات وتخريجه للناس في أبهى حلّة.

_ **مصادر مادته:** تستقي المعاجم العربية عامة والجغرافية خاصة مادتها من جملة من المصادر التي تتيح للمعجمي حشد معجمه بمعارف شتى ومن ثمة معالجتها وتنظيمها بطريقة خاصة، وتتجسد هذه المصادر حسب ما أجمع عليه العلماء في: «القرآن الكريم، السنة النبوية، أشعار

[1]- أحمد بن عبد الله الباتلي، المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، د.ت، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض 1992. ص14.

[2]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص25.

العرب لاسيما الجاهلي وصدر الإسلام، كلام فصحاء الأعراب في البوادي وأخبارهم، أقوال أئمة اللغة العربية...»[1]، حيث يحتل القرآن الكريم قيمة عظيمة في نفوس العرب، ذلك أن: «ألفاظ القرآن الكريم تمثل لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء... وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء...»[2]، غير أن اعتماده في المعاجم الجغرافية كما بّين الدارسون والمتفحصون له بنسبة قليلة إذا ما قُورن مع سائر المصادر، فنجد:«المادة الجغرافية في القرآن طفيفة على العموم... بعكس ما عليه الحال مع الشعر الجاهلي»[3]، وقد لاحظ الجغرافيون أنه: «...تتوكد في القرآن بشكل خاص أهمية النجوم كهاد في ظلمات الليل... ووفقا لما جاء في القرآن فإن الجبل تخدم غرضا خاصا هو جعل الأرض تثبت في حال من التوازن كيلا تميد»[4]، يتضح مما سبق اعتماد المعجميين للقرآن الكريم في نقاط معينة فقط كوصف النجوم والجبال والسماء... خصوصا وأن العربي القديم كان يهتم بشكل كبير بأمور الفلك ويأنس بالنظر إلى السماء ويلهم بما حوله من آيات الكون، فالمعجم الجغرافي إذن على الرغم من غزارة مادته وإلمامه بمعارف شتى غير أن اعتماد القرآن كان بنسبة أقل كما يبدو كونه يقتصر فقط على أماكن ومواضع معينة. كما اعتمد المعجمي الجغرافي على رحلاته وتجاربه الشخصية بشكل كبير، ذلك لأن:«البدو عادة يتمتعون بمعين لا ينضب من التجارب المباشرة في مجال الجغرافيا الفلكية، وترحالهم الدائم وسراهم بالليل، حين يعتمد الإنسان على الاهتداء بالقمر والنجوم الساطعة، قد شحذ ذهنهم مبكرا لمراقبة

[1]- أحمد بن عبد الله الباتلي، المرجع السابق، ص14.

[2]- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص17_18.

[3]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص45_47.

[4]- نفسه، الصفحة نفسها.

جميع التغيرات التي تطرأ على القبة السماوية...»[1]، وبهذا يتمكن الجغرافي منذ نشأته من الإلمام بمعارف شتى متنوعة يسعى من خلال معجمه لتجسيدها وبثها خدمة للقارئ، كما لا يمكن إغفال قيمة ودور الشعر العربي في بناء المعجم الجغرافي، حيث أننا«نبصر في بداية قصيدة واحدة عددا من أسماء المواضع»[2]، فالمتأمل في أشعار العرب يدرك جيدا الكم الهائل الذي تزخر به من ذكر أسماء مواضع وبلدان متعددة وهو ما جعل المعجمي الجغرافي يعتمده بشكل كبير في معجمه استشهادا به في مواضع متفرقة.

_ **طبيعة متلقيه:** يحتل المعجم الجغرافي مكانة سامقة في نفوس القراء نظرا للمادة الغنية التي يعالجها، إذ المتبصر فيه يدرك جيدا أنه لا يخص بمادته الجغرافي وحسب كما بين المختصون بقولهم أنه: «تتوفر فيه مادة لا ينضب معينها لا للمؤرخ أو الجغرافي فحسب، بل أيضا لعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الأدب والعلم والدين، وللغويين وعلماء الطبيعة»[3]، فتنوع المادة المعالجة أدى بالضرورة إلى تعدد القراء، كونه يعالج جوانب مختلفة من الحياة الإنسانية آخذا بذلك من كل علم بطرف فنجده مرة يعالج أمورا تاريخية تخدم المؤرخ ومرة أمور الدين واللغة التي يحتاجها الفقهاء وأهل الدين وكثيرا ما يتناول أمور الطبيعة والفلك التي تعين الناس في مختلف حاجياتهم، هذا ما أدى إلى تنوع الموروث الجغرافي وجذب القراء من مختلف اهتماماتهم للاطلاع عليه والارتشاف من مناهله العذبة ، وقد بّين المختصون حاجة الناس الماسة للمعرفة الجغرافية على الشكل التالي:

---

[1]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص41.

[2]- نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- نفسه، ص17.

- **المشتغلون بالسّير والأخبار:** ذكر المختصون الأهمية البالغة للمعاجم الجغرافية بالنسبة لأهل السير والأخبار، بحيث أن دراستهم وتأليفاتهم متوقفة على ما تناقلته الكتب والدّواوين كما بّين ياقوت قائلا: « إّني رأيت جلّ نقلة الأخبار وأعيان رواة الأشعار والآثار...ضاربا بقداح الفلج في أفانين العلوم والآداب عند قراءة السنن والآثار ورواية الأحاديث والأخبار، لتحصيلهم إياها بالمعاني، واستدلالهم على مغزى أوائل الكلم بالثواني...حتى يمر بهم ذكر بقعة كانت بها وقعة واقعة، فيختلط لاحتياجه إلى النقل لا للعقل، والرواية لا الدراية...»[1]، وبناًء على هذا وجب على المختص بالتأليف في السير ونقل الأخبار أن يحرص حرصا شديدا على نقل تواريخ وأسماء العلماء وغيرهما بكل مصداقية وثبات من المعاجم الجغرافية، إذ كل إهمال بسيط في النقل قد يشكل تهديدا وخطرا كبيرا على الحضارات والثقافات الغابرة.

- **الفقهاء وأهل التشريع:** يولي الفقهاء عناية خاصة بمادة المعجم الجغرافي، وذلك لتسيير مصالحهم ومعرفة أوقات الصلاة والصوم وغيرهما فيما يخص أمور دينهم، حيث: «كان للكواكب ارتباط بالشرع في معرفة أوقات الصلوات وطلوع الفجر الذي يحرم به على الصايم الطعام والشراب... وكذلك مغيب الشفق الذي هو أول أوقات العشا الآخرة»[2]، فالفقهي إذن يستند لتحديد أوقات أداء فرائض دينه بالدرجة الأولى على المعلومات الفلكية التي هي من اختصاص الجغرافي ولا يحظى بها غالبا إلا بمطالعته للمعاجم الجغرافية.

- **الأدباء:** فالأديب لا يستغني عن هذه المعاجم مهما يحدث كونها تتضّمن مادّة ثرية في لغته، إذ: «يلزم الشعراء وعلماء اللغة معرفة دقيقة بنطق أسماء الأماكن والأنهار والجبال والآبار كي لا

[1]- أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ط2، دار صادر، بيروت 1977.ص8.
[2]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص111.

يخطئوا فيصبحوا هدفا لسخرية المثقفين من الناس»[1]، وبهذا عُدّ المعجم الجغرافي من أجلّ الكتب الموروثة التي خلّد اسمها التاريخ والتي ينبغي أن تتوفر في جميع المكتبات خدمة وتزويدا للقراء بالرصيد اللغوي الهائل.

- المشتغلون بالتطبيب والتنجيم: يحتاج كل من الطبيب والمنجم للمعرفة الجغرافية المتجسدة في المعاجم بشكل كبير، إذ: «يهم أهل الطب المعلومات عن المناخ والظروف الطبيعية، كما يهم المنجمين مطالع النجوم ليحكموا على طوالع البلاد»[2]، ومنه يتضح ارتباط العديد من العلوم وتوقف قيامها وتطورها على ما تم التوصل إليه من قبل المعجميين الجغرافيين كعلمي الطب والتنجيم.

- علماء الطبيعة: يغطي الجانب الطبيعي مساحة كبيرة من معلومات المعجم الجغرافي، ذلك لأنه:«لم يكن الاهتمام بعلم النبات شيئا غريبا على الجغرافيين العرب بل كان يمثل أحيانا هدفا أساسيا لرحلاتهم ومصنفاتهم»[3]، وبالتالي يتم رصد وتدوين كل ما يشد انتباههم خصوصا وأن أغلب الرحلات القائمة من طرف المعجميين كانت لتعطشهم الشديد للمعرفة و الرغبة في التوسع الفكري وكسب معارف جديدة نادرة.

_ **في مواصفاته:** لقد اتسمت المعاجم عامة والمعاجم الجغرافية خاصة بجملة من السمات المميزة لها عن غيرها، ولعل أبرز ما تم رصده من خلال الدراسات السابقة مايلي:

- ✓ استنادها على مجموعة متنوعة من المصادر، فشكلت بذلك مادة دسمة تخدم الجغرافي، اللغوي، الاقتصادي، التاريخي ...

---

[1]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص340.

[2]- نفسه، ص340.

[3]- نفسه، ص347.

- ✓ عُدّت الظواهر الجغرافية المحور الذي تدور حوله هذه المعاجم.
- ✓ اتخاذها قيمة لغوية وتاريخية وجغرافية كبيرة، كونها «تهتم بتحديد المواقع الجغرافية بحسب خطوط الطول والعرض وتبحث في التقاويم المختلفة وأشكال المجموعات النجمية»[1]، هذا ما جعلها قِبلة لعديد من الباحثين.
- ✓ اهتمامها بذكر الأسماء والبلدان، حيث: «ترد فيه الأنساب مزودة بالشرح الكافي مع ضبط الأعلام الجغرافية»[2].
- ✓ سردها بعض الرحلات العلمية وأخذها من كل علم بطرف، إذ: «تعالج الجغرافيا التاريخية إلى جانب الدين والحضارة والأنثروبولوجيا... والأدب الشعبي(folktore)، والأدب الفني...»[3]، فلم تختص بذكر جانب معين دون الآخر.
- ✓ اعتمادها ترتيبا خاصا والترتيب الهجائي غالبا.

يظهر مما سبق، أن للمعجم الجغرافي قيمة عظيمة كونه يعالج معارف مختلفة، فيزود القارئ بثروة لغوية هائلة من معالجة الظاهرات الجغرافية وسرد الرحلات وكل ما تم رصده خلالها، وقد يلجأ أحيانا إلى رسم خرائط توضيحية التي من شأنها تقريب الصورة أكثر للقارئ.

_ **تحدد مجاله:** يُعنى المعجم الجغرافي بالدرجة الأولى بدراسة الظواهر الجغرافية وكل ما يحيط بالإنسان من أمور الطبيعة والفلك... ويظهر اهتمام عربي كبير بهذا المجال من خلال ما خلفوه من موروث جغرافي هائل، حيث: «كانت لهم عناية متميزة بالظواهر الطبيعية والجغرافية المحيطة

---

[1]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص317.

[2]- نفسه، ص319.

[3]- نفسه، ص335.

بهم وكانوا يسجلون ملاحظات دقيقة حول الإقليم والتضاريس والصخور والمناخ والنبات والحيوان فضلا عن اهتمامهم بالإنسان»[1]، فالمعجم الجغرافي إذن يصب جل اهتمامه على الظاهرات الطبيعية المحيطة بالإنسان، ويتحدد مجاله بدقة في قول الدارسين: «بينوا مدى انتشار النباتات المزروعة وأماكن وجود المعادن، ولم يجتذب اهتمامهم الجغرافيا الطبيعية أو الظروف المناخية فحسب، بل أيضا الحياة الاجتماعية والصناعة والزراعة واللغة والتعاليم الدينية»[2]، فيغطي بذلك جانبا كبيرا من المعرفة إذ نجده يعالج الأقاليم المناخية والتضاريس ودراسة الظروف المناخية ومنه إيراد المناطق الصالحة للإقامة بها وإنشاء الزراعة عليها من التي يستحيل فيها ذلك، كما يعالج الظواهر اللغوية، وهو المجال ذاته الذي تبحّر فيه صاحب مدونتنا ياقوت الحموي فيحدد مجال معجمه بالتدقيق قائلا: «كتاب في أسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان والقرى والمحال والأوطان والبحار والأنهار والأنهار والغدران والأصنام والأبدان والأوثان»[3]، فجاء كتابه بذلك شاملا ماتعا آخذا من كل علم بطرف.

_ **تميز مصطلحاته:** تختلف مصطلحات المعجم الجغرافي عن مصطلحات سائر المعاجم اختلافا واسعا، كون المعجم الجغرافي يركز بشكل كبير على دراسة الظواهر الطبيعية ومعالجة أسماء البلدان والبقاع وأسماء النباتات...على خلاف اهتمامات المعاجم الأخرى، حيث نجد: «المصطلح الذي هو من اللغة المتخصصة، له خصائص معينة تميزه عن اللفظ اللغوي العام،

[1]- لبيب علي، قاموس الجغرافيا، د.ت، الدار العربية للعلوم، تونس 2004. المقدمة.

[2]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص22.

[3]- نفسه، ص340.

أهمها ذاتية الدلالة...»[1]، فالمصطلح الجغرافي إذن له دلالة خاصة مميزة له لاختصاصه بمعالجة مصطلحات البيئة، التضاريس، البلدان، الأقاليم المناخية، التعاملات التجارية...وعلى هذا عدّ الدارسون«الجغرافيا ذات خاصية متميزة، إذ نجدها تضع قدما في العلوم الطبيعية وقدما في العلوم البشرية»[2]، وبذلك تميز المعجم الجغرافي بتفرد مصطلحاته خصوصا مع استقلالية الجغرافيا عن سائر العلوم، إذ أنه: «نتيجة تطور البحث العلمي واستقلال الجغرافيا عن بعض العلوم أصبح للجغرافيا مصطلحات خاصة بها لفظا ومدلولا»[3]، فبعد استقلالية الجغرافيا كعلم قائم بذاته تفردت بمصطلحاتها ودلالاتها الخاصة المميزة لها عما سواها.

_ **طبيعة مداخله**: ُيقصد بالمدخل المعجمي: «الوحدة اللغوية التي توضع تحتها بقية الوحدات اللغوية أو المشتقات، ويتكون غالبا من الحروف التي تكّون البنية الأساسية الثابتة للكلمات و المشتقات»[4]، وعليه فإن المداخل المعجمية مهمة جدا في بناء المعاجم، كونها تسهم في تنظيم مادة المعجم، إذ تنطوي تحت المدخل الواحد وحدات متنوعة تصب في الباب ذاته، ويظهر وجود ضروب متعددة لترتيب المداخل، لعل أهمها: «ترتيب المداخل تحت الحرف الأول معّراة من الزوائد فيها، وقد اشتهرت من هذا الضرب معاجم كثيرة... والضرب الثاني من هذا النوع من الترتيب هو ترتيب المداخل تحت الحرف الأول أيضا، لكن دون تعريتها من زوائدها... والضرب

[1]- إبراهيم بن مراد، مسائل في المعجم نقلا عن "ديباش عبد الحميد" ترجمة المصطلح التشريعي في الفقه الإسلامي، ص52.

[2]- بولمطافين إبراهيم، المفاهيم الحديثة للإقليم الجغرافي،حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا لأساتذة الآداب والعلوم الإنسانية،ع7، جامعة الجزائر 2005.

[3]- لحنيكات حميد، المعجم الموحد لمصطلحات الجغرافيا، تقديم وقراءة لسان العرب، ع50، 2001،ص157.

[4]- حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعاجم، ط1، دار النهضة العربية، بيروت 1998. ص386.

الثالث هو ترتيب المداخل تحت الحرف الأخير، ويسمى بنظام التقفية، من القافية»[1]، نستنتج من هذا وجود أشكال متنوعة لترتيب المداخل المعجمية وعلى المعجمي اعتماد إحداها لتنظيم مادته وتخريجها في صورة مقروءة تمكن القارئ من استيعابها والاستفادة منها، ويغلب على المعاجم الجغرافية أحد الترتيبين الأبجدي أو الألفبائي كما هو موضح في قول كراتشكوفسكي:«ترد فيه أسماء المواضع بحسب الترتيب الأبجدي كما هو الحال مع المعاجم السابقة المعروفة لنا. ولكن يجب ألا يغيب عن البال أن الترتيب قد يختلف داخل الحرف الواحد أحيانا...»[2]، ويختص بالذكر هنا المعجم الجغرافي بحيث يعمل المعجمي بعد جمع مادّته وضالّته على ترتيب المداخل أولا بحسب الترتيب الأبجدي أو الألفبائي ومن ثمة يشتغل على تصنيف الوحدات تحت المدخل الواحد وله في ذلك أيضا طريقته الخاصة في التنظيم بحيث يراها نافعة خادمة للقراء.

_ **المكون التعريفي**: إن وجود المصطلح في المعجم الجغرافي يستدعي بالضرورة وجود تعريف شارح مبسط لمعناه يمكّن القارئ من استيعابه وفهمه، حيث يشكل المكون التعريفي: «الركن الأساسي في كل معجم، سواء كان عاميا أو مختصا، وبدونه لا يكون المعجم في نظرنا معجما بالمعنى التام»[3]، لذا نجد المعجمي الجغرافي يولي عناية خاصة بالمكون التعريفي كونه يشرح معنى اللفظة ويزيح عنها الغموض المشكل، وتتجلى أهميته من خلال ما يرد فيه من: «شرح الكلمة وبيان معناها أو معانيها، إما في العصر الحديث فقط، أو معانيها عبر العصور، بيان كيفية نطق الكلمة، بيان كيفية كتابة الكلمة، تحديد الوظيفة الصرفية للكلمة، بيان درجة اللفظ في

[1]- إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص107.

[2]- كراتشوكفسكي، المرجع السابق، ص341.

[3]- إبراهيم بن مراد، المرجع السابق، ص133.

الاستعمال...تحديد مكان النبر في الكلمة»[1]، فيتم في التعريف إذن بيان معنى المفردة والتطور الدلالي الذي حصل لها عبر العصور المختلفة، كما يتم تشكيلها كي يتسنى للقارئ نطقها بطريقة صحيحة وتحديد ميزانها الصرفي وكذا تبيين مدى شيوع استعمالها بين الأفراد وبهذا يتضح معناها للقارئ، ثم إن التعريف في المعجم العربي عادة ما يكون: «تفسير التسمية من صميم اللغة العربية ولا يسمح بفكرة وجود أصل غير عربي لها إلا في حالات نادرة...»[2]، فيورد المعجمي أصل الكلمة وظهورها الأول في الاستعمال اللغوي إن كانت عربية الأصل أو غير ذلك، كما يتميز التعريف المعجمي الجغرافي عن غيره بأنه:«يبحث في أصل الموضع الجغرافي المذكور ونشأته والظروف التي أحاطت بذلك... وإذا جاء الموضع في القرآن أو الحديث سيقت في ذلك الشواهد... ويتخلل العرض أثناء ذلك ضروب من الحكايات الطريفة والنكات والقصص مع مختارات واسعة من الشعر»[3]،والخلاصة التي تتأتّى مما سبق أن للمكون التعريفي أهمية بالغة في جميع المعاجم، ولا يتخذ المعجم شكله النهائي إلا بتوفر التعريف ويضم هذا الأخير شعب متنوعة من التفصيلات التي تعين المتلقي على استيعاب معنى المفردة، حيث يشير فيه المعجمي بداية إلى أصل الكلمة ثم إلى طريقة نطقها الصحيحة فاشتقاقها... وهكذا، وقد يورد في ذلك شواهد متنوعة إما من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف وإما بذكر كلام العرب شعرا ونثرا دليلا على صدق ما ذهب إليه.

[1]- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص165_166.

[2]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص341.

[3]- نفسه، ص342.

الفصل الثاني: التعريف المعجمي في معجم البلدان.

- **التعريف بياقوت الحموي ومؤلَّفه.**
- **المكون التعريفي ومواصفاته في المعجم.**

أولا: التعريف بياقوت الحموي:

_ **اسمه:** عُرف أنّه: «الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي...»[1]، وقد ذَكر غيره أن اسمه هذا وُضع له بعد زمن من ولادته بغية التعريف به وتمييزه عن غيره من العبيد الذين كانوا يباعون في الأسواق خدما لغيرهم من أصحاب الجاه والمال، حيث: «اسم ياقوت يشير إلى أنّه كان في الأصل عبدا رقيقا، وقد جرت العادة بتسمية الأرقاء بأسماء الحجارة الكريمة والطيب كزمرد وكافور...»[2]، ورُوي أنه حاول تغيير اسمه فيما بعد بسبب الشبه الحاصل بينه وبين العديد من معاصريه خشية الخلط بينهم مستقبلا، لقولهم:«حاول ياقوت فيما بعد استبدال اسمه باسم مقارب له في اللفظ وهو يعقوب ولكن ثبت عليه، سواء بين معاصريه أو لدى الأجيال التالية أو في الدوائر العلمية، ذلك الاسم الذي كان يطلق عادة كما ذكرنا على الأرقاء»[3]، أما فيما يخص نسبته الرومي«فدليل على أن أصله من بلاد الدولة البيزنطية وربما كان إغريقي الجنس. ونظرا لأنّ أباه كان غير معروف فقد تسّمى بابن عبد الله كما جرت العادة في مثل هذه الأحوال»[4]، فاسم ياقوت إذن ليس اسمه الحقيقي كما ورد وإنما أُطلق عليه من طرف سيده فعُرف به، شأنه في ذلك شأن سائر العبيد والموالي الذين كانوا يباعون في الأسواق فيسمون من طرف أسيادهم للتمييز بينهم.

_ **مولده:** اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ مولده بدقة فهناك من قال بعدم وجود أي معلومة عن تاريخ ولادته وأنّه أُخذ صغيرا وبيع في الأسواق، في حين أنّ هناك من قال بخلاف ذلك وحدد له

---

[1]- الحموي، معجم البلدان، ص6.

[2]- كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ص338.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- نفسه، الصفحة نفسها.

تاريخا معينا قائلا: «وُلد فيما حكاه عن نفسه سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة ببلاد الروم وأُسر صغيرا، وحُمل إلى بغداد، وكان عمره خمس أو ست سنوات، واشتراه عسكر إبراهيم بن أبي نصر الحموي، وكان تاجرا أُميا، فعلّم ياقوت القراءة والكتابة، واعتمد عليه في تجارته وأعماله ووثق به، ولعلّ عسكرا لم يكن له من الأبناء من يستطيع الاعتماد عليه لصغر سنّهم أو لأمر آخر»[1]، وبهذا تمكّن المؤرخون من ضبط تاريخ محدد لمولده وإزالة الغموض والخلاف الحاصل إلى أن صار غلاما يافعا قادرا على تحمل المهام وخدمة غيره بتلبية الرغبات حينها أُخذ وبيع في الأسواق وتم شرائه من قِبل أحد التجار الكبار الذين يولون للعلم أهمية كبيرة لحاجتهم الماسة لمن يخدمهم ويسهّل عليهم كثير من المهام المستعصية.

_ **نشأته:** حظي ياقوت على قسط وافر من التعليم والاهتمام والتوجيه من قبل سيده بعد أن كان محروما منها لسنوات طوال، حيث رُوي أنه: «نال تعليما إسلاميا جيّدا، شأنه في هذا شأن الأرقاء من الروم... وقد جهد سيده الذي لم ينل حظا وافرا من التعليم في أن يوفر له هذا، وكان تاجرا على سعة من العيش اضطرته مصالحه إلى الإقامة ببغداد فأراد أن يتّخذ لنفسه كاتبا ماهرا يساعده في أعماله التّجارّية»[2]، ومنه كان لتعلم ياقوت وتمكنه من القراءة والكتابة أهمية كبيرة وحظوظ وافر لدى سيده رغبة في تحقيق المصالح وتيسير المعاملات التجارية التي تتطلب متعلما متمكنا، ومما لا شكّ فيه أنّ كثرة رحلاته قد أتاحت له فرصة ملاقاة العلماء والأدباء، وتحفيزه للاطّلاع والاستفادة منهم بالعلم الوافر فضلا عن شغفه الكبير باستكشاف البلدان والتغلغل في أرجائها «يذكر لنا

[1]- يوسف بن عبد العزيز الحميدي، ياقوت الحموي مؤرخا من خلال كتابه معجم البلدان، ط1، منشورات ضفاف، لبنان 2014. ص25.

[2]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص338.

ياقوت..كثيرا ما اصطحبه سيده في أسفاره التّجارية وبعث به أحيانا بمفرده»[1]، وخلال تلك المغامرات التي كان يقوم بها لم يضّيع أي فرصة تتاح أمامه للتبحر في العلوم وإشباع فكره بشتى المعارف، هذا وقد عُوف عنه أنه: «... أمضى عامين بنيسابور حيث علق قلبه بحب فتاة من أهلها، ثم غادرها إلى هرات وسرخس إلى أن بلغ مرو، وبمرو أمضى عامين متنقّلا بين مكتباتها الشّهيرة...»[2]، وبناءً على هذا يتّضح أنّ حياة ياقوت الحموي كانت منذ ولادته مليئة بالأحداث والتّجارب الشّيقة هي من حفزته أكثر للإبداع والتفنن في مجال الجغرافيا وذلك نتيجة مجالسته للأدباء والعلماء من شتى الأقطار وفي مختلف ضروب العلم خصوصا مع ما عرف به من توقيره للعلم والعلماء وحسن الأخذ والتدبر بين أيديهم ، وقد رُوي أنّه فّر هاربا مرات عدة من كيد العدو أملا في النجاة، ويصف حاله أحد الوزراء قائلا:«... لّما وصل دخل علّي في حالة يسوء منظرها ووصف من أمره أمورا لا تسّر مخبره، وقال: قد ألفيت عصاي ببابك وخّيم أملي بجانب جنابك، فأجاب القفطي: أقاسمك العيش»[3]، ومن ثّمة اشتغل بنسخ وبيع الكتب مما أمكنه من جني بعض الأرباح للقيام على شؤونه الخاصة والابتعاد عن بؤرة الفقر ما استطاع.

_ ***طلبه للعلم ورحلاته:*** حظي ياقوت على قسط وافر من التعليم، ذلك لأن مولاه أصّر على تعلمه وتمكنه من مهارتي القراءة والكتابة فنلحظ أنه:«علّمه الخطّ وظهر منه شفقة عليه، وحّبب

[1]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص339-338.

[2]- نفسه، ص339.

[3]- جمال الدين علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النّحاة، ج4، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر العربي، بيروت 1982. ص83.

العلم إليه منذ كان في المكتب»[1]، وعلى الرّغم من انشغاله بأمور التّجارة تلبية لرغبات سيّده إلا أنّ ذلك لم يحجزه عن طلب العلم وملاقاة العلماء في مختلف بقاع الأرض، حيث يذكر لنا أثناء رحلته إلى" آمد" أنه كان:« يسارع للالتقاء بالأديب علي بن الحسين المعروف بشميم الحلي، ويجالسه ليناقشه في الأدب ويسأله عن بعض مؤلفاته الأدبّية»[2]، وهكذا ديدنه في كل مرة تتاح أمامه فرصة للقاء أحد العلماء أو الأدباء بغية زيادة رصيده الثقافي وإشباع فضوله بالسؤال عما يخالجه، وبعد افتراقه عن مولاه وعتقه له تفّرغ أكثر للعلم كما أسلفنا القول واهتم باحتراف عملية نسخ وبيع الكتب، وقد شهد له أشهر الأدباء بسعة علمه واطلاعه بقوله:«كان كثير المحفوظ، وكتب الكثير بخطّه، ذا وقار مع التّواضع ولين الجانب، لقيته ببغداد سنة ثلاث وستمائة وكان آخر العهد به»[3]، ولهذا حظي بقبول كبير لدى سيده والعلماء الذين تتلمذ على أيديهم وكانوا يمّونه بالمعارف المتنوعة، كما وصفه كبار المؤرخين في فترة متقدمة بأنّ: «أهل العلم كانوا لا يزالون يثنون عليه ويتذكّرون فضله وأدبه»[4]، ومن خلال هذه التجارب واللقاءات التي عاشها ياقوت وخاض غمارها اكتملت شخصّيته العلمية وصار قادرا على التّأليف في شتّى المجالات، هذا بالإضافة إلى رحلاته الخاصة وما تّم تدوينه خلالها من معارف جغرافية وطبيعية...كل هذه الخصال مجتمعة هي التي صقلت فكره وشجعته لإخراج كتب جمة النفع كمعجمي البلدان والأدباء. أّما فيما يخص رحلاته فقد عُرف بكثرة ترحاله وتجّوله في أقاصي البلدان الإسلامية، وذكر المؤرخون أنه:«...من الصّعب رسم

---

[1]- كمال الدين بن الشعار الموصلي، قلائد الجمان في فرائد شعر هذا الزمان، ج7، تح: كامل سلمان الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2005. ص197.

[2]- الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج3، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب 1993.ص1315.

[3]- الحموي، معجم الأدباء، ج3، ص1027.

[4]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص339.

خارطة لرحلاته وفقا لتتابعها الزّمني، إذ هناك اختلاف بين ما دّونه ياقوت وما ذكرته المصادر التي ترجمت له...»[1] ، ولعلّ أولى الرحلات التي قام بها ياقوت وتم ضبطها من قبل العلماء حسب قولهم: «يذكر لنا ياقوت...من أكثر الأسفار التي تركت أثرا في نفسه في ذلك العهد رحلاته العديدة إلى جزيرة كيش التي ساعدت كثيرا في توسيع أفقه الجغرافي»[2]، وخلال هذه الرحلات المتكررة والتي كانت غالبا لغرض التجارة تمكّن من جمع مادّة معجمه الجغرافي وإثراء معلوماته وتدوين كل ما يشد انتباههويُ ذكر فيما بعد حصول فجوة وبُعد بينه وبين مولاه، إذ: «حين أصبح عمره الحادية والعشرين حدث بينه وبين سيّده جفوة أوجبت عتقه فأبعده عنه»[3]، وذلك عائد غالبا لأسباب معينة إلا أن ياقوت لم يقف عاجزا وإنما استغل تلك الفترة للاطلاع أكثر وتوسيع معارفه في مختلف الميادين، حيث رُوي أنه: «لما حصلت الجفوة بين ياقوت ومولاه، كان ذلك فرصة لياقوت ليتفرغ لطلب العلم فاستقر ببغداد ينسخ الكتب ويحضر مجالس العلماء والأدباء ومنهم الأديب الحسن بن أبي المعالي بن مسعود الباقلاني...»[4]، ورغم متعته بالتفرغ أكثر لطلب العلم لم يكن يجد عمله في استنساخ الكتب ذا ربح وافر يمكّنه من تحقيق كل ما يرغب بتحصيله خلافا لما كان يجنيه رفقة سيده، وخلال هذه الفترة «علم مولاه السابق عسكرا قلّة رزقه فعطف عليه وأعاده إلى العمل معه»[5]، فواصلا العمل معا لفترة طويلة إلى أن علم ياقوت بوفاة سيده أثناء إحدى رحلاته، حيث: «خرج إلى جزيرة كيش وحين عودته منها سنة 606هـ وجد عسكرا قد مات فأعطى أولاده وزوجته نصيبهم

[1]-يوسف الحميدي، المرجع السابق، ص28.

[2]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص338.

[3]- ابن المستوفي أبو البركات المبارك بن أحمد الأربلي، تاريخ إربل، ج1، تح: سامي الصقار، دط، ص527.

[4]- يوسف الحميدي، المرجع السابق، ص27.

[5]- القفطي، المرجع السابق، ج4، ص81.

من المال»[1]، ومن ثمة حاول الجمع بين التجارة وطلب العلم قدر المستطاع،ويُذكر أنه كان: «يسافر في البلدان تاجرا وطالبا للعلم والمعرفة فاتّجه سنة 607هـ إلى خراسان ودخل مدينة هراة ووصفها»[2]، ومنها عاد إلى الشام حيث:«كانت معه نسخة جميلة من كتاب صور الأقاليم للبلخي باعها على الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب»[3]،ويتجلّى واضحا من خلال هاته الّروايات المتناقلة أنّ ياقوتا لم يتخذ مسلكا بّينا، وإّنما كان يرتحل بحسب الحاجة التي تدفعه إّما للتجارة وإما استكشافا لمكان ما أو ملاقاة عالم معروف...وهكذا، لذا فإن العلماء يقسمون رحلاته عموما إلى قسمين اثنين هما:

❖ **رحلاته إلى بلاد المشرق:** تنوعت رحلات ياقوت بكثرة وذلك للهمة العالية التي كان يتمتع بها، حيث: «رحل إلى مدينة نيسابور وهي الشاذياخ سنة 613هـ»[4]، ثم توّجه إلى مرو وكان قد أحّبها وفضّل الإقامة بها لقوله: «...لولا ورود التتر إلى تلك البلاد وخرابها لما فارقتها إلى الممات لما في أهلها من الّرفد ولين الجانب وحسن العشرة، وكثرة كتب الأصول المتقنة بها، فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف لم أر في الّدنيا مثلها كثرة وجودة»[5]، يظهر من هذا تعلقه الشديد بمدينة "مرو" لما عثر عليه بها من الكتب العظيمة النفع والتي كان لها الأثر البّين في توسيع فكره وزيادة ثقافته... ولذا كان يبدي ندما وتحسرا شديدا على ما خلّفه فيها من خيرات عظيمة حاقدا على المستعمر الطاغي المستبد، ثم روي بعد ذلك انتقاله إلى مدينه"ارثُخشميثن" حيث وصفها قائلا:

---

[1]- يوسف الحميدي، المرجع السابق، ص29.

[2]-نفسه، ص162.

[3]-نفسه ، ص29.

[4]- نفسه، ص30.

[5]-الحموي، معجم البلدان، ج5، ص114-115.

«مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ونعمة وافرة، ولأهلها ظاهرة وهي في قدر نصيبين، إلا أنها أعمر وآهل منها. وهي من أعمال خوارزم من أعاليها...»[1]، ثم قصد مدينة "هزار" وبعدها وصل مدينة خوارزم واصفا إيّاها بقوله: «كنت قد جئتها سنة 616هـ فما رأيت ولاية أعمر منها»[2]، ويذكر أنه حاول التّأليف فيها إلا أنّه فشل، قائلا: «وقد كنت اجتهدت أن أكتب شيئا بها، فما كان يمكنني لجمود الدّواة حتى أقرّبها من النار وأذيبها، وكنت إذا وضعت الشربة على شفتي التصقت بها لجمودها على شفتي»[3]، وكعادته دوما لم يعرف استقرارا بها بسبب الحروب القائمة ففرّ هاربا مارّا نحو مدينة" خوارزم" واصفا إيّاها بقوله: «كنت قد جئتها سنة 616هـ، فما رأيت قط ولاية أعمر منها»[4]، ومن ثّم اتجه نحو مدينه" سبرني"، قائلا: «بُليدة بنواحي خوارزم وهي آخر حدودها من ناحية شهرستان، رأيتها عامرة في سنة617هـ »[5]، فكان بذلك يدّون مميزات كل منطقة يمر بها ليتمكن من تجسيد كل ذلك في معجمه الجغرافي ونفع القارئ، ثم انتقل إلى بلدة" سمنقان" وقال عنها: «بلدة بقرب جاجرم من أعمال نيسابور، وهي كورة بين جبلين تشتمل على عدة قرى...»[6]، ثّم نحو بلدة" بهرزان"وهي كما ورد: « بلدة بين شهرستان ونيسابور»[7] واستمر في التّرحال إلى أن وصل قلعة تدعى:«قلعة بيروزكوه قرب دنباوند من أعمال الري، مشرقة على بليدة يقال لها ويمة...»[8]، ثم رحل إلى مدينة "أردبيل" وهي: «قريبة من خلخال»[1]، وقد سحرته بجمال طبيعتها

---

[1]-الحموي، معجم البلدان، ج1، ص141.

[2]-نفسه، ج2، ص396.

[3]-نفسه، ج2، ص455.

[4]-نفسه، ج2، ص396.

[5]- نفسه، ج3، ص377.

[6]-نفسه، ص254.

[7]-نفسه، ج1، ص514.

[8]- نفسه، ص526.

ومناظرها الخلابة... ثم انتقل بعدها إلى مدينة" تبريز" وفيها: «...اضطر مرّة أخرى إلى ركوب السّفينة لاجتياز بحيرة أرمية... وذكر أنّها لا يعتني بها أزيكبن البهلوان بسبب ضعفه»[2]، ثّم دخل مدينة "أُشنة"واصفا إياها بقوله: «بلدة شاهدتها في طرف أذربيجان من جهة إربل ، بينها وبين أرمية يومان...»[3]، يتضح مما سبق تنوع وكثرة رحلات ياقوت في بلاد المشرق والتي كان لها الأثر البارز في توسيع معارفه وشحذ همته العالية في تحصيل سمات كل منطقة وما تتمتع به من خيرات وثروات عظيمة خلافا لغيرها.

❖ **رحلاته إلى مصر وبلاد الشام:** لم يقتصر ياقوت في رحلاته على بلاد المشرق فقط بل ذكر المؤرخون أيضا قصده لبلاد "الموصل" حيث: «توجه إلى الموصل وكتب عند وصوله رسالة وكان هذا في سنة 617هـ إلى الوزير علي بن يوسف القفطي وزير صاحب حلب...حكى فيها ياقوت ما لقيه في رحلته المتعبة من المشاق والمخاطر...»[4]، وفيها استنجد بالوزير القفطي بكتابة رسالة له كي يسعفه ويمده ببعض المعونة بعد أن خرج فقيرا هالكا بسبب الحروب القائمة، وتعتبر هذه الرسالة من الرسائل التي خلد ذكرها التاريخ، ذلك لأنها: «كتبت بأسلوب أدبي رفيع وهي تتألّف من حوالي عشر صفحات، وأقام ياقوت بالموصل ثّم رحل إلى سنجار»[5]، ولم يلبث أن أعانه القفطي ورحب به وهناك تمكّن ياقوت من العمل وتوفير حاجياته وخلال هذه الفترة «استطاع أن يكمل كتاب معجم البلدان وأهدى نسخة منه إلى القفطي في سنة625هـ»[6]، يظهر من هذا أن

---

[1]-الحموي، معجم البلدان، ج1، ص145-146.

[2]- نفسه، ج1، ص159.

[3]- نفسه، ص201.

[4]-يوسف الحميدي، المرجع السابق، ص32.

[5]-الحموي، المرجع السابق، ج3، ص262.

[6]-نفسه، ج1، ص14.

التأليف الجغرافي ليس بالشيء الهين لما يحمله من المخاطر أثناء البحث والترحال ولذا نجده يحتل أسمى المراتب في التأليف اللغوي العربي، وبعد أن أنهى ياقوت مؤلّفه عزم على الرحيل مجددا فسافر إلى مصر وبها تمكن من مشاهدة الأهرامات التي وصفها قائلا: «رأيت الهرمين وقلت لمن كان في صحبتي غير مرّة إنّ الذي يتصوّر ففي ذهني أنّه لو اجتمع كل من بأرض مصر من أوّلها إلى آخرها على سعتها وكثرة أهلها وصمدوا بأنفسهم عشر سنين مجتهدين لما أمكنهم أن يعملوا مثل هاذين الهرمين، وما سمعت بشيء تعظم عمارته فجئته إلّا ورأيته دون صفته إلّا الهرمين فإنّ رؤيتهما أعظم من صفتهما»[1]، فكان منبهرا لعظمة الأهرامات التي كان يسمع عنها فقط ولم تتح له الفرصة لمشاهدتها فلما شهدها علقت بقلبه لروعتها، وزار كذلك الإسكندرية قائلا: «شاهدتها في جماعة من العلماء وكل عاد منا متعجبا من تخرص الرواة...أما صفتها التي شاهدتها فإنّها حصن عال على سن جبل مشرف في البحر في طرف جزيرة بارزة في ميناء الإسكندرية...»[2]، وهذا دأبه في كل مرة يبصر فيها شيئا عظيما يشدّ انتباهه فإنه لا يفوت فرصة وصفه والتفنن في توظيف مفرداته وتثبيته في مدونته، ثم إنه رحل إلى دمشق ويروى أنه: «كان منشغلا بأمر العسكريين أبي أحمد وأبي هلال، إذ عجز عن الوقوف على ترجمته لكلّ منهما... حتّى ورد دمشق وفاوض الحافظ تقّي الدّين اسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الأنماطي فذكر لياقوت مما أملاه السّلفي في التّرجمة لهما، وأعاره تلك الأملية»[3] ، ثّم سافر إلى فلسطين فلقي شيخه الأوقي ببيت المقدس وقال في ذلك: «لقيته بالبيت المقّدس تاركا للدّنيا مقبلا على قراءة القرآن

[1]-الحموي، معجم البلدان، ج1، ص283.

[2]-نفسه، ج1، ص187.

[3]-الحموي، معجم الأدباء، ج2، ص911.

مستقبلا قبلة المسجد الأقصى، وسمعت عليه جزءا وكتبت عنه»[1]، وطيلة هذه الرّحلات التي قام بها ياقوت نجده حريصا على تدوين ملاحظاته بالتّدقيق مع السّؤال عن أسباب الحروب والخراب الواقع في بعض البلدان الإسلامية حتّى أنّه أُجيب عن سؤاله مرة من قبل أحد رجالها قائلا أنها: «... بسبب الحروب بين السّنة والشّيعة حتى إذا أفذ وا الشيعة وقعت االعصبّية بين الحنفّية والشّافعّية وكان الظفر فيها للشافعّية»[2]، كما كان يعجب بمناظر الطّبيعة ويأنس بوصفها والتمتع بمناظرها الخلابة لقوله: «بلدة شاهدتها في طرف أذربيجان من جهة إربل ...ذات بساتين وفيها كمثرى يفضل على غيره، يُحمل إلى جميع ما يجاورها من النواحي، إلا أن الخراب فيها ظاهر»[3]، وبهذا يتجلّى لنا واضحا ولع وتعلّق قلب ياقوت بالرّحلات ورغبته الشديدة في التّعرف على البلدان ومخالطة العلماء والأدباء، حتى نراه رغم كبر سنه لا يزال يتنقّل ويكتشف المكتبات والبلدان العربية لما خُصّ به من الهمّة العالية والعزم النافذ اللذان يدفعانه دوما إلى الخوض في أقاصي البلدان دون أي فتور بغية نيل المراد والتّزود بالمعارف في شتى الميادين، وكان نتاج هذا تخريجه لكتب ضخمة عُدّت من أنفس كتب التّراث العربي.

_ ***اتجاهه الفكري:*** يُذكر أنّه كان رجلا متخلّقا ولم يرد أن شانه أحد لخصلة من خصاله، سوى ما ورد عن بعض الرّواة كقول الوزير القفطي: «كان شديد الانحراف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه... حتّى كأنّه قد طالع شيئا من كتب ومذاهب الخوارج»[4]، وظُنّ أنه بذلك ترسخ عنده مذهب الخوارج، غير أنّ هذا القول لم يتقّبله البعض كون القفطي تكلم في غيره أيضا، بقوله:

---

[1]-يوسف الحميدي، المرجع السابق، ص30.

[2]- الحموي، معجم البلدان، ص31-32.

[3]- نفسه، ج1، ص239.

[4]-القفطي، المرجع السابق، ج4، ص82.

«والقفطي كثير الوقيعة في النّاس»[1]، ويتأكّد غلط القول في نفي الحافظ بن حجر عن ياقوت تهمة الانحراف عن علي كرّم الله وجهه بقوله: «لم أر في شيء من تصنيفه التّصريح بالنّصب»[2]، أي أنّه لم يرد في تصنيفه شيء يدل على انحرافه عن علي رضي الله عنه وتحيزه لمذهب الخوارج وإنّما كان يكتفي فقط بذكر الصّفات والفضائل التي أجمع العلماء على صحّتها، أضف إلى ذلك أنّ هناك من قال بعكس ذلك حيث نسب ياقوت لمذهب الشيعة بقوله: « ذُكر أنّ ياقوتا كان شيعيّا»[3]، وبناءً على هذا يتّضح أنّ ياقوتا لم يكن متعصّبا لأي مذهب كما ادّعى بعض الرّواة ولا هو من الذين يتهجّمون بالشك في صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وإنّما كان ذو أخلاق عالية ودين ثابت راسخ، وقد قيل أنه: «وصفه وليد الأعظمي بأنّه محمود السيرة يثني الناس على علمه وأخلاقه وأدبه وفضله»[4]، وهذا قول معظم من لقيه وحظي بمجالسته فقد كان يصب جل اهتمامه على طلب العلم والتبحر في العلوم والتأليف لنفع الناس في دينهم ودنياهم وإبعاد الزيف عن التراث الجغرافي العربي.

_ ***شيوخه وتلامذته:*** نظرا للرّحلات الواسعة التي عاشها ياقوت سواء لغرض التّجارة أو لغيره، فقد تمكّن من التّعرف على العديد من أهل الأدب والعلم ومجالستهم والنّهل من معارفهم، حيث كان: «يستمدّ الفائدة من كلّ من يلقاه، وكان سؤاله دون فتور مصدرا هاما من مصادر المعرفة

[1]-يوسف الحميدي، المرجع السابق، ص36.

[2]-نفسه ، الصفحة نفسها.

[3]-ياقوت الحموي البغدادي حياته ومؤلفاته، مجلة المورد، ع1، 1398هـ. ص18-19.

[4]- يوسف الحميدي، المرجع السابق، ص39.

لديه»[1]، وقد حدّد المؤرخون عددا من العلماء الذين تتلمذ ياقوت على أيديهم بقولهم:«اهتم بعض الدّارسين بترجمة بعض شيوخ ياقوت من أولئك الأستاذ إلهي الذي وقف على اثني عشر من شيوخ ياقوت»[2]، في حين أنّ هناك من قال بتتلمذ ياقوت على يد الكتب أكثر من مجالسة الشّيوخ، حيث قيل: «لا أتردد في القول بأن ياقوتا تتلمذ على الكتب أكثر مما تتلمذ على الشيوخ، حيث قد عاش أكثر حياته متنقلا بين بلدان العالم الإسلامي، ولم يتفرغ للجلوس إلى الشيوخ...»[3]، إلّاأن المتّفق عليه من طرف المؤرخين وجود جماعة من الشّيوخ تتلمذ ياقوت على أيديهم وبهم تشكّلت شخصيته ومعارفه، ولعلّ أهمهم:

أ- «أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الجلياني الغساني الأندلسي»[4]، ويذكر أنه: « طّيب، شاعر، أديب، متصّوف، كان يقال: حكيم الزّمان»[5]، ونظرا لسعة معارف الشيخ وسماته المميزةفلا ريب أن يكون ياقوت تعلّم منه الكثير.

ب- «سالم بن أحمد أبو المرجئ البغدادي(ت611)، قال ياقوت: هو شيخنا، وهو أديب نحوي عروضي، أّول شيخ قرأ عليه ياقوت ببغداد، العربية والعروض، وذلك لتمكّنه وانفراده بهذا العلم، وقد كان تاجرا ذا ثروة حسنة، له العديد من التّصانيف»[6]، يظهر حظوظ ياقوت وتعلمه بين يديه من خلال وصفه له بتمكنه من النحو والعروض فضلا عن معاملاتهما التجارية وجلوسهما معا.

---

[1]-عباس إحسان، دراسة في ياقوت وكتابه معجم الأدباء، منشورة في الجزء السابع من كتاب معجم الأدباء لياقوت، دار الغرب الإسلامي، ج7، 1993. ص2904.

[2]-يوسف الحميدي، المرجع السابق، ص33.

[3]-نفسه، ص33.

[4]-نفسه، ص182.

[5]-نفسه، ص34.

[6]-القفطي، المرجع السابق، ج2، ص67-68.

ت- «عبد العزيز بن المبارك بن محمود الجنابدي(ت611هـ)، قال عنه ياقوت: شيخنا البغدادي المولد والدّار، ويعرف بابن الأخضر، ولم يكن لأحد من شيوخ بغداد الذين أدركناهم أكثر من سماعه مع ثقة وأمانة وصدق ومعرفة تامّة وكان حسن الأخلاق مزاحا... سمعت عليه وأجاز لي»[1]، يظهر من وصف ياقوت فضل هذا الشيخ الكبير في بناء شخصيته وصقل معارفه وأخلاقه.

ث- «المبارك بن المبارك بن سعيد بن الدّهان(ت612هـ)من أهل واسط أقام ببغداد، وصفه ياقوت بأنّه: هو شيخي الذي به تخرّجت أو عليه قرأت، تولّى تدريس النّحو بـ النّظاميّة سنتين...»[2]، ويبدو جليا تتلمذ ياقوت بين يديه وتعلمه النحو منه من خلال وصفه له بشيخي.

ج- «تاج الدّين أبو اليمن زيد بن حسن الكندي(ت613هـ)عمل تاجرا، يجوب البلاد ويطلب العلم، وكان أعلم زمانه بالنّحو، تعرّف إليه ياقوت في دمشق، وحضر عنده، وذكر أنّه كان خزانة علمية بجامع بني أمّية»[3]، فمن حسن حظ ياقوت أن عمل بالتجارة التي كانت تتيح له فرصة ملاقاة علماء كثر ومنه مجالستهم والنهل من معارفهم.

ح- «أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري(ت616هـ)أقام ببغداد، وكان ضليعا في النّحو واللغو والفقه والفرائض والكلام، وكان رقيق القلب، سريع الدّمعة، اجتمع به ياقوت مرارا، وكان ينشد الشعر الرقيق ودمعه يتحدّر على لحيته...»[4]، ويبدو جليا تأثر ياقوت وتعلقه به من خلال كلماته الرقيقة المنتقاة لوصفه إعجابا به.

---

[1]-الحموي، معجم البلدان، ج2، ص165.

[2]-القفطي، المرجع السابق، ج3، ص254-256.

[3]- نفسه، ج2، ص10-15.

[4]- نفسه، ج12، ص116-118.

خ- «علم الّدين أبو محمد القاسم بن أحمد بن الموفق الأندلسي ولد سنة561هـ إمام في العربية وعالم بالقرآن والقراءات، لقيه ياقوت في حلب سنة 618هـ، حيث قال: وكنت لقيته بحلب سنة ثماني عشرة وستمائة ففزت من لقائه بالأمنية واقتضيت من فوائده كل فضيلة شهية»[1]، أخذ ياقوت عنه علم القراءات وحصّل فوائد جّمة بمجالسته.

يتبّين من هذا العرض فضل العلماء في تكوين شخصية ياقوت الأدبية والعلمية وتزويده بالمعارف المتنوعة في شتى المجالات خصوصا مع ما عُوف به من توقيره للعلم والعلماء وحسن خُلقه بين الناس.

أّما فيما يخص تلامذته فلم يرد أي قول يدل على تخرج الطلاب على يديه، وربّما كان ذلك لكثرة ترحاله وعدم استقراره في بلد معّين، حيث اتّسم برغبته الجامحة في تحصيل العلم خصوصا بعد وفاة سّيده وعتقه له، إذ أتاح له ذلك فرصة الالتقاء بالعلماء والأدباء في مختلف بقاع الأرض، وقد أثنى عليه كثير من الدارسين بمدح ذكائه النادر ونبوغه الفائق حيث: «أكّد الذهبي صورة إعجابه بشخصية ياقوت العلمية بقوله: كان من الأذكياء...وكان أديبا شاعرا، مؤرخا، أخباريا، متفننا»[2]، ولذا كان ذائع الصيت في جميع بلدان العالم الإسلامي لعلمه وأدبه الزاخر ونشاطه العالي الذي كان يتمتع به.

_ ***مؤلفاته:*** على الّرغم من المعاناة التي قاساها ياقوت طيلة حياته وفراره المتكرر من كيد العدو إلا أنه استطاع بفضل شغفه ومغامراته في سبيل طلب العلم من إخراج كتب عظيمة، نفع بها

[1]-الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص2188.

[2]- يوسف الحميدي، المرجع السابق، ص38.

الناس في مختلف ضروب المعرفة، حتى عُرف كونه: «العلامة الأديب، صاحب التصانيف المشهورة...»[1]، وكانت هذه المصنفات نتاج جهد عظيم بذله ياقوت من حسن التعلم والتدبر بين يدي العلماء، وكذا كثرة المطالعة والتردد على المكتبات هذا فضلا عن رحلاته التجارية المتنوعة، ومنه تشكّلت ثقافة ياقوت الواسعة حتّى أصبح متضلّعا في مختلف أنواع المعرفة،وتُقسّم المعارف التي ألّف فيها ياقوت حسب ما تناقلته الدراسات السابقة إلى:

أ- **مؤلفاته في النّحو:** ألّف ياقوت مصنفات كثيرة في باب النحو، مثل: «كتاب الرّد على ابن جني عند كلامه في الهمزة والألف من كتاب سر الصّناعة»[2]، وفيه تناول أقوال ابن جني وحاول مناقشتها وتقديم رأيه الخاص، إضافة إلى تأليفه:« كتاب أوزان الأسماء والأفعال الحاصرة لكلام العرب»[3]، عالج فيه الجانب الصرفي لكلام العرب، كما ألّف أيضا:«كتاب مجموع كلام أبي علي الفارسي، وكتاب الأبنية»[4]، ويتضح رسوخ قدم ياقوت في النحو وتمكّنه منه من خلال مؤلفاته العظيمة.

ب- **مؤلفاته في الأدب وتراجم الأدباء:** يتمتع ياقوت بأسلوب بديع في كتاباته ويتجلى ذلك واضحا من خلال كتبه الأدبية، نحو:«كتاب إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»[5]، الذي سّماه أيضا باسم«معجم الأدباء وأخبار النّحويين»[6]، و سّماه ابن الشّعار«معجم أئمة الأدب»[1]، ورُوي أنه أعيد تحقيقه وطبعه مرات عدة.

---

[1]-يوسف الحميدي، المرجع السابق، ص38.
[2]-القفطي، المرجع السابق، ج4، ص85.
[3]-الحموي، معجم الأدباء، ص85.
[4]-ابن الشعار، المرجع السابق، ج9، ص339.
[5]-الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص15.
[6]-عباس إحسان، المرجع السابق، ج7، ص2921.

ت- **مؤلفاته في النّسب:** ألّف ياقوت كتابا ضخما عالج فيه: «ذكر أنساب العرب»[2]، وقال عنه في معجم البلدان: «... عزمت بعد فراغي من هذا الكتاب أن أجمع في النسب على مثال هذا الكتاب في الترتيب»[3]، فبمجرد تخريجه لكتاب البلدان شرع في مؤلف أنساب العرب لما رآه من حاجة القراء لمثل هذه المعارف وضرورة توفرها في المكتبات العربية.

ث- **مؤلفاته في التاريخ:** نجد في التاريخ مصنفات عدة وذلك عائد لطبيعة عمله في التجارة ومخالطته لأهل السياسة، حيث ورد: «كتاب المبدأ والمآل في التاريخ، وكتاب الدّول»[4]، تناول فيه أسماء بعض الدول وقضايا تاريخية، إضافة إلى تأليفه«كتاب تاريخ على السنين»[5]،ونجد أيضا: «كتاب مختصر تاريخ بغداد»[6]، وجميعها كانت تتناول أمورا تاريخية من تحديد للتواريخ وأسماء البلدان والأعلام...

ج- **مؤلفاته في الملل والنحل:** ألّف ياقوت كتابا عظيما وأطلق عليه تسمية:«أخبار أهل الملل والنّحل وقصص أهل النحل في مقالات أهل الإسلام»[7]، عالج فيه بعض المذاهب الدينية التي كان العرب يعتنقونها آنذاك.

ح- **مؤلفاته في الشّعر وأخبار الشّعراء:** ألّف في هذا المجال كتاب: «ضرورات الشعر»[8]، وأيضا:«أخبار الشّعراء»[1]، تناول فيه قضايا الشّعر وبعض أسماء الشعراء وأخبارهم، قال عنه في

---

[1]- ابن الشعار، المرجع السابق، ج9، ص340.

[2]- نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-الحموي، معجم البلدان، ج3، ص397.

[4] -ابن الشعار، المرجع السابق، ج9، ص340.

[5]-ابن النجار، المرجع السابق، ص254.

[6]-ابن الشعار، المرجع السابق، ج9، ص340.

[7]-الحموي، معجم البلدان، ج2، ص369.

[8]- ابن الشعار، المرجع السابق، ج9، ص340.

كتابه معجم الأدباء: «وكنت شرعت عند شروعي في هذا الكتاب أو قبله في جمع كتاب في "أخبار الشّعراء المتأخرين والقدماء ونسجتها على هذا المنوال"... فأودعت ذلك الكتاب كل من غلب عليه الشعر فدّون ديوانه»[2]، إضافة إلى كتابه: «أخبار المتنبي»[3]، إلا أن هذا الأخير اُختلف في حقيقته أكتاب منفصل أم تابع لمعجم الأدباء.

خ- **مؤلّفاته في الجغرافيا:** ألّف كتابا غزير المادّة سمّاه معجم البلدان،يُروى أنه: «طبع المعجم في ستة أجزاء في الفترة بين عامي 1866و 1873، إحدى الخدمات الجليلة وربما كانت أجلّها، التي طوّق بها فرديناند فستنفلد عنق الاستعراب االعالمي...ولا تزال هذه الطبعة إلى الآن من أهم المراجع لجميع المشتغلين بالدراسات العربية»[4]، تناول فيه أسماء البلدان ووصف الظواهر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية...إلخ، كما نجد أيضا كتاب آخر لياقوت في الجانب الجغرافي وهو: «كتاب المشترك وضعا والمفترق صقعا، هو في أسماء المواقع والأماكن التي اشتركت في التسمية واختلفت في مواقعها»[5]، أجمع أغلب الدّارسين على أنه مختصر لمعجم البلدان، وفيه تناول مادة معجمية ثرية بإيجاز شديد من أسماء الأماكن وتواريخها مع الإلمام بالمصطلحات الجغرافية وتقديم شروحات لها.

_ ***وفاته:*** حدّد المؤرخون تاريخ وفاة ياقوت بقولهم: «أجمع كل من ترجم لياقوت أنه توفي سنة ست وعشرين وستمائة" 626هـ"، وعمره واحد وخمسون عاما، وحدّده بعضهم في رمضان...يوم

---

[1]- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج6، تح:إحسان عباس، د.ط، دار صادر، لبنان 1978. ص129.

[2]- الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص8.

[3]- ابن الشعار، المرجع السابق، ج9، ص340.

[4]- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص336_337.

[5]- يوسف الحميدي، المرجع السابق، ص41.

الأحد»[1]، وكان آنذاك مقيما بحلب، حيث: «انتقل إلى خان في ظاهر حلب، وأقام به حتّى وفاته»[2]، فلم يمكث استقراره بحلب طويلا حتى وافته المنية عن عمر يناهز واحد وخمسون سنة رحمه الله تعالى، وإن كان رحل عن بقاع الأراضي الإسلامية إلا أن ذكره ما يزال حيا جاريا على الألسن مادامت مؤلفاته الثرية، الجمة النفع باقية شاهدة على سعة علمه واطلاعه.

ثانيا: التعريف بمعجم البلدان:

يُعدّ معجم البلدان لياقوت الحموي من أجلّ الكتب العربية التي أُخرجت للناس نظرا للمادة الثّرّية والدسمة التي تضمّنها بين دفتيه، ذكر ياقوت دافع تأليف كتابه بقوله: «فكرة تأليف المعجم نبعت في ذهنه عندما كان يحضر مدينة مرو مجالس شيخه أبو المظفر السّمعاني في سنة615هـ/1218م فسُئل عن سوق من أسواق العرب في الجاهلية، قد ورد ذكره في الحديث النّبوي الشّريف يدعى"حُباشة"، فلفظها ياقوت بضم الحاء، غير أن أحد الحاضرين اعترضه ولم يقنع أنها بالضّم وزعم أنها بفتح الحاء...»[3]، وهنا عزم ياقوت وأخذ على عاتقه ضبط اللفظ وإرشاد الناس للنطق الصحيح استنادا على شواهد متنوعة وإبعاد اللحن الذي يجلبه الأعاجم ويقحمه العامة فيفسد السليقة ، وحين أتّم إعداده أرسل نسخة منه إلى الوزير القفطي كما ذكرنا سابقا، ولقد دام إعداده زمنا طويلا لإخراجه في أبهى صورة مشتملا على معارف متنّوعة، لقوله: «لّما تطاولت في جمع هذا الكتاب الأعوام، وترادفت في تحصيله الأيام والشهور، ولم أنته منه إلى غاية أرضاها... وخشيت بغتة الموت... ولو وثقت بمساعدة العمر وامتداده... لضاعفت حجمه أضعافا وزدت في

---

[1]- يوسف الحميدي، المرجع السابق، ص44.

[2]- ابن خلكان، المرجع السابق، ج6، ص139.

[3]- رقية عبد الله أحمد أبو ليل، ياقوت الحموي وكتابه معجم البلدان الأوضاع الاقتصادية"دراسة تاريخية"، كلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية، فلسطين 2011. ص44.

فوائده مئتي بل آلافا»[1]، فكان نفع معجمه هو الهدف الذي يصبو إليه منذ البداية، ثم إنّ ياقوتا بّين السمة الطاغية على كتابه بقوله: «هذا كتاب في أسماء البلدان، والجبال، والأودية، والقيعان، والقرى والمحال، والأوطان والبحار، والأنهار والغدران، والأصنام والأبداد، والأوثان. لم أقصد بتأليفه، وأصمد نفسي لتصنيفه، لهوا ولعبا، ولا رغبة حثتني إليه ولا رهبا، ولا حنينا استفزّني إلى وطن، ولا طربا حفزني إلى ذي ود وسكن»[2]، أي أنه يعالج الظواهر الجغرافية المحيطة بالإنسان بالدرجة الأولى وكان يرى ذلك واجبا عليه فتولى إعداده بجمع مادته وترتيبها على أحسن ما يكون حتى يتسنى للباحث بلوغ مراده على أتم وجه، وبّين ياقوت أهمية الجانب الديني في مؤلفه بقوله: «وفّقني عليه الكتاب العزيز الكريم ، وهداني إليه النّبأ العظيم وهو قوله عز وجلّ حين أراد أن يعرّف عباده آياته ومثلاته، ويقيم الحجة عليهم في إنزاله بهم أليم نقماته...فهذا تقريع لمن سار في بلاده ولم يعتبر»[3]، فالسّبب الأكبر الذي دفعه للتأليف وتكريس نفسه لإتمامه إنّما هو للوعظ والإرشاد والتّدبر في الأمم الغابرة والإلمام ببساطة الحياة، وهكذا حشد مادّته بعد التمحيص والتدقيق في مدى صحّتها ونفعها مع إيراد الشّواهد والبراهين الدالة على صحة ما ذهب إليه من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشّريف أو كلام العرب شعرا ونثرا... وبذلك يسهل على العربي وغير العربي معرفة أخبار السلف والحضارات الغابرة والأماكن المندثرة بكل يسر، يقول: «قد تتعذر أسباب النّظر، فيتعيّن التماس الخبر...»[4]، ومنه جعل معجمه الجغرافي قِبلة لجميع المسلمين وخدمة لهم في

[1]- الحموي، معجم البلدان، ص13.

[2]- نفسه، ص7.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- نفسه، ص8.

جميع الـ ميادين، فكان بذلك من أغلى الدّرر في كتب الرّحلات التي من ورائها إيقاظ النّفوس وشحذ الهمم.

_ **موارده:** لقد استقى ياقوت مادّة معجمه من جملة من المصادر، ولعل أهم وأجل هاته المصادر التي نهل منها ياقوت واعتمدها لبناء مادة معجمه " الكتب السّماويّة"، حيث اعتمد آيات القرآن الكريم لتأكيد صدق ما ذهب إليه من شروحات، كما استشهد في مواضع متفرّقة من معجمه بالحديث النّبويّ الشّريف لكنّه بنسبة أقل مقارنة بالمصادر الأخرى، حيث: «أخذ عن: الإمام مسلم بن الحجاج "ت261هـ"...والإمام محمد بن عيسى الترمذي" ت279هـ"...وأبو القاسم الطبراني" ت360هـ"»[1]، هذا وقد استند بشكل كبير على ما تّم رصده خلال الرّحلات التي قام بها وتجاربه الشخصية التي عاش أحداثها، حيث كان: «يصف الموضع بدقّة وما مرّ به من أحداث، وحركة البيع والشّراء والثّروة النّباتية وأهم الصناعات فيه»[2]، ونظرا لتأثير الحروب عليه وفراره كل مرّة من أماكن أحّيها، كان يتحسّر كثيرا ويصف ما حلّ بها من الخراب، وقد وصف مرة مدينة "صور" التي أنهكها الاحتلال الصّليبي، قائلا: «هي في أيديهم إلى الآن، والله المستعان المرجو لكل خير، الفاعل لما يريد»[3]، كما استعان بسؤال الثقاة من سكان تلك المناطق عن أسباب تلك الحروب القائمة ومنه تجسيدها في معجمه، واستمدّ كذلك من مؤلفات أهل الأدب الذين عُرفوا باستكشافهم للأماكن والبلدان العربية، بقوله: «أمّا الذين قصدوا ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة أهل الأدب، وهم أبو سعيد الأصمعي، ظفرت به رواية لابن دريد عن عبد الرّحمان... والحسن بن أحمد

[1]- يوسف الحميدي، المرجع السابق، ص72.

[2]-الحموي، معجم البلدان، ج1، ص145.

[3]-نفسه، ص223.

الهمداني، له كتاب جزيرة العرب... وأبو سعيد السيرافي، بلغني أن له كتابا في جزيرة العرب، وأبو محمد الأسود الغُندجاني، له كتاب في مياه العرب، وأبو زياد الكلابي، ذكر في نوادره من ذلك صدرا صالحا وقفت على أكثره، ومحمد بن إدريس بن أبي حفصة، وقفت على كتاب سّماه مناهل العرب، وهشام بن محمد الكلبي، وقفت له على كتاب سّماه اشتقاق البلدان...»[1]، واعتماده على كل هذه المصنفات الضخمة دليل تبحره في كتب التراث العربي وهضم معارفها جيدا، كما استنبط مادّته من كتب الفلاسفة، بقوله: «أما من قصد ذكر العمران، فجماعة وافرة، منهم من القدماء والفلاسفة والحكماء: أفلاطن، وفيثاغورس، وبطليموس...»[2]، أضف إلى ذلك اطلاعه الواسع على كتب الّرحالة أمثاله والتجار والسفراء، نحو قوله: «...وطبقة أخرى إسلاميون... عّينوا مسافة الطرق والمسالك، وهم: ابن خرداذبه، أحمد بن واضح، والجيهاني، والفقيه، وأبو زيد البلخي، وأبو إسحاق الإصطخري...»[3]، وقد كان ياقوت أثناء نقله المعلومات من الكتب حريصا أشد الحرص على نسبة كل مقولة لقائلها صونا لمجهود العالم في الغيب، هذا وقد اطّلع أيضا على كتب المحدثين، لقوله: «نقلتُ من دواوين العرب والمحدَثين وتواريخ أهل الأدب والمحدّثين، ومن أفواه الرواة...»[4]، وقرأ للّنحويين واللغويين وكثيرا ما كان يستشهد منهم على صحة الأقوال، نحو قوله: «قال صاحب كتاب العين:الأندري ويُجمع الأندرين...وقال الأزهري: الأندر قرية بالشام فيها كروم وجمعها الأندرين»[5]، كما كان له حصة من الاطّلاع على دواوين الشّعراء مع صب جل اهتمامه على الأشعار التي

[1]-الحموي، معجم البلدان، ص11.

[2]- نفسه، ص266.

[3]-نفسه، ج1، ص11.

[4]-نفسه، ج1، ص12.

[5]-نفسه، ص261.

تحوي ذكر الأماكن الجغرافية نحو«ديوان عرام بن الأصيع السّلمي»[1]، إضافة إلى كتب فتوح الإسلام، وفيها: «وقف على طبيعة الفتوحات الإسلامية إن كانت صلحا أو عنوة»[2]، كما نهل من الكتب التي تحكي الصراعات السياسية ... هذا وإن كنّا قد وقفنا في نقل الموارد التي اعتمدها ياقوت على قلّ من كثر، إلا أنه يتبّين جليا سعة علم واطّلاع ياقوت ولا ريب في ذلك، فالمتأّمل في معجم البلدان خاصته يتأكّد من صحة ذلك من خلال ملاحظة المادّة الدسمة التي انطوى عليها والحجم الزاخر الذي اعتمده من الشواهد من مختلف المصادر.

_ ***منهجه:*** لقد حظي كتاب معجم البلدان لياقوت باهتمام وإقبال كبير من قبل الباحثين نتيجة البناء المحكم الذي أُسّس عليه حيث اتّخذ فيه مؤلفه نهجا خاصا من البداية إلى غاية تخريجه للناس، فافتتحه بداية بمقدمة بمثابة مدخل للمعجم، مقسمة إلى خمسة أبواب جميعها تعالج قضايا جغرافية ومصطلحات علمية، أما الباب الأول فقد: «ذكر صورة الأرض وحكاية ما قاله المتقدمون في هيئتها»[3]، عالج خلاله صفة الأرض واختلاف العلماء حول هيئتها أ كروية أم مسطحة. أّما في الباب الثاني فقد: «وصف اختلافهم في الاصطلاح على معنى الإقليم وكيفيته واشتقاقه ودلائل القبلة في كل ناحية»[4]، وفيه عرض مصطلح الإقليم وكيفية تحديد القبلة بالاعتماد على معلومات الفلك...واختص الباب الثالث في: «ذكر ألفاظ يكثر تكرار ذكرها فيه يُحتاج إلى معرفتها...»[5]، ويغلب عليه شرح الألفاظ التي تتصل بالجغرافيا. والباب الّرابع جعله في: «بيان حكم الأرضين

---

[1]- الحموي، معجم البلدان، ج1، ص52.

[2]-نفسه، ص103.

[3]- نفسه، ص15.

[4]-نفسه، الصفحة نفسها.

[5]-نفسه، الصفحة نفسها.

والبلاد المفتتحة في الإسلام وحكم قسمة الفيء والخراج فيما فتح صلحا أو عنوة»[1]، وبّين فيه حاجة الفقهاء الماسة للمادة الجغرافية لمعرفة أحكام التشريع انطلاقا من معارف المعاجم الجغرافية. أّما الباب الخامس والأخير فعالج: «جمل من أخبار البلدان التي لا يختص ذكرها بموضع دون موضع...»[2]، تحّدث فيه عن أخبار بعض البلدان بسرد بعض الأحداث التي كانت تجري بها دون غيرها. أّما فيما يخص أسلوبه لمعالجة مادة معجمه فهي حسب ما تعرضت له دراسة" ياقوت الحموي مؤرخا ليوسف الحميدي" على النحو الآتي:

أ- ***تحليل المادّة:*** اعتمد ياقوت على طريقة خاصة لترتيب مادة معجمه تسهّل على القارئ فهم المراد بكل يسر، حيث قال عنه: «رتّبته على حروف المعجم... وأبنت عن كل حرف من الاسم هل هو ساكن أو مفتوح أو مضموم أو مكسور... ثم أذكر اشتقاقه إن كان عربيا، ومعناه إن أحطت به علما إن كان أعجمّيا...»[3]، فيورد طريقة نطق الكلمة مقرونة بالشكل كي يسهل نطقها بشكل سليم، وهو كما يظهر يولي عناية خاصّة للحركات بسبب ما يصيب الكلمة من تغير عبر الأجيال، ثم يشير إلى الاشتقاق اللغوي مع إيراد أصل الكلمة إن كان عربيا أم أعجميا، ثم الآراء المختلفة حولها ومن ثّمة معالجة تصريفاتها وما يصّح منها مع التّعليل.

ب- ***ضبط الموضع جغرافيا وذكر أهمّيته بين المعالم الإسلامية وما جاوره من البلدان:*** تعّرض ياقوت في معجمه لذكر أسماء بعض البلدان الإسلامية وحّدد تواجدها انطلاقا مما يجاورها من البلدان، لقوله: «أذكر اشتقاقه إن كان عربيا...وأي بلد من المشهورات يجاوره، وكم المسافة بينه

[1]-الحموي، معجم البلدان، ج1، ص15.
[2]-نفسه، ص47.
[3]-نفسه، ص12.

وبين ما يقاربه، وبماذا اختص من الخصائص، وما ذكر فيه من العجائب...»[1]، وبهذا يتم رسم التحديد الجغرافي لكل منطقة في نطاق البلاد الإسلامية، مع تمييزها عن غيرها بذكر أهم الخصائص والأحداث التي جرت بها.

ت- ***ذكر الجانب التاريخي والحضاري للموضع الجغرافي:*** حيث يشير فيه ياقوت إلى اسم المنطقة ثم ما ارتبط بها من أحداث تاريخية وحضارية، لقوله: «...أذكر بعض من دُفن فيه من الأعيان والصالحين والصّحابة والتابعين...وأي زمان فتحه المسلمون»[2] وهكذا يمد الجغرافي القارئ بما يعينه على معرفة تاريخ نشأة كل منطقة على حدة.

ث- **ذكر نشأة المدن الإسلامية وتطوّراتها العمرانية:** عالج ياقوت نشأة المدن الإسلامية بوصف طبيعتها قبل وبعد إصلاح الخراب الذي عّم بها بسبب الاستعمار.

ج- **ذكر بعض النوادر والعجائب والخرافات والأساطير:** حشد ياقوت معجمه بكثير من القصص والنوادر التي رأى أنها تحمل دلالات بعض المفردات التي تبدو غريبة على القارئ، حيث قال: «... ذكرت أشياء كثيرة تأباها العقول، وتنفر عنها طباع من له محصول، لبعدها عن العادات المألوفة وتنافرها عن المشاهدات المعروفة... وأنا مرتاب بها نافر عنها متبرئ إلى قارئها من صحتها، لأنني كتبتها حرصا على إحراز الفوائد، وطلبا لتحصيل القلائد منها والفرائد...»[3]، فرغم إيراده لها في معجمه إلا أنه لا يقر بصحتها، وإنما رغبة في تزويد القارئ بالثروة اللغوية الهائلة والنوادر الطريفة.

---

[1]-الحموي، معجم البلدان، ج1، ص12.

[2]-نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-نفسه، الصفحة نفسها.

_ ***مميزاته:*** يعتبر معجم البلدان من بين أهم كتب التراث العربي التي لا غنى للباحث عنها بأي شكل من الأشكال نظرا للمادة الّسمة التي يعالجها من لغوية، أدبية، تاريخية، جغرافية، اجتماعية وثقافية...ولعلّ أهم المميزات التي اختص بها دون غيره ما تم رصده من خلال الدراسات السابقة مايلي:

- ✓ **سهولة الوصول إلى المعلومة لحسن ترتيبه وفق حروف المعجم:** أورد ياقوت في معجمه طريقة ترتيب مادته قائلا: «...ثم أعود إلى الغرض فأقسمه ثمانية وعشرون كتابا على عدد حروف المعجم، ثم أقسم كل كتاب إلى ثمانية وعشرون بابا للحرف الثاني للأول، وألتزم ترتيب كل كلمة منه على أول الحرف وثانيه وثالثه ورابعه، وإلى غاية بلغ، فأقدم ما يجب تقديمه بحكم ترتيب: ا، ب، ت، ث...والغرض من هذا الترتيب، تسهيل طريق الفائدة من غير مشقة...»[1]، أولى ياقوت عناية خاصة لطريقة ترتيب مادته وعرضها بشكل مبسط تيسيرا على القارئ بلوغ مراده، إذ جعل معجمه في ستة أجزاء كل جزء يعالج قدرا معينا من المفردات مقرونة بشروحات وتفسيرات توضح معناها باعتماد الترتيب الألفبائي.
- ✓ **اهتمامه بضبط أسماء الأماكن:**اهتم ياقوت كثيرا بخاصية ضبط أسماء الأماكن بالشكل الصحيح والتحديد الموضعي الدقيق معتمدا في ذلك على تجاربه الشّخصية وأمهات كتب التراث العربي، حيث يورد قوله: « قد تتعذّر أسباب الّنظر، فيتعّين التماس الخبر، فوجب لذلك علينا إعلام المسلمين بما علمناه...ومن ذا الذي يستغني من أولي البصائر عن معرفة أسماء الأماكن

[1]- الحموي، معجم البلدان، ج1، ص15.

وتصحيحها... والناس في الافتقار إلى علمها سواسية...»[1]، وهكذا بّين فضل إلمام الباحث بالضبط الدقيق لأسماء الأماكن ونطقها بشكل سليم سواء في عصره أو للأجيال القادمة.

✓ **إيراده معظم المعالم الجغرافية للعالم الإسلامي:** أورد ياقوت في بداية تصريحه عن كنه معجمه معالجته لكثير من أسماء المعالم الجغرافية الإسلامية بقوله: «هذا كتاب في أسماء البلدان، والجبال، والأودية، والقيعان، والقرى، والمحال، والأوطان، والبحار، والأنهار، والغدران، والأصنام، والأبداد، والأوثان...»[2]، ولذا جاء معجمه عامرا بشتى المعارف، ملّما بجوانب متنوعة من الحياة الإنسانية.

✓ **وصف الحياة الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية:** دّون ياقوت خلال رحلاته الشخصية عادات وتقاليد مجتمعات كثيرة، منها قوله: «وقد كان أهل تلك البلاد أهل دين متين وصلاح مبين ونسك وعبادة، والإسلام فيهم غض المجنى حلو المعنى يحفظون حدوده ويلتزمون شروطه، لم تظهر فيهم بدعة استحقوا بها العذاب والجلاء...»[3]، فكان بذلك حريصا على نفع القارئ بذكر مواصفات كل مجتمع على حدة، ووصف الجانب الديني واعظا به القراء بسرد حياة أسلافهم.

✓ **اهتمامه بالجوانب الأدبية:** حشد ياقوت في معجمه مادّة أدبية غنية ومتنوعة بهدف إمتاع القارئ وإثراءه بالرصيد اللغوي الهائل، ومثال ذلك قوله: «...قال امرؤ القيس: إني لأعجبُ من بيتكم هذا كيف لا يحترق من جودة شعركم! فسُّوا بني النار يومئذ»[4]، ويظهر طغيان الجانب الأدبي على معجمه من خلال مزجه بين كلام العرب شعرا ونثرا وسرد القصص والنوادر...

---

[1]- الحموي، معجم البلدان، ص8.

[2]- نفسه، ج1، ص7.

[3]- نفسه، ص214.

[4]- نفسه، ص214.

✓ **وضوح أسلوب ياقوت وسهولته:** يظهر من خلال الأسلوب البديع الذي يتمتع به ياقوت سعة علمه واطلاعه على مختلف ضروب العلم وتبحره في أمهات كتب التراث العربي، حيث جاء في قوله:«الحمد لله الذي جعل الأرض مهادا، والجبال أوتادا، وبث من ذلك نشوزا ووهادا، وصحارى وبلادا، ثم فجر خلال ذلك أنهارا، وأسال أودية وبحارا، وهدى عباده إلى اتخاذ المساكن، وإحكام الأبنية والمواطن، فشّيدوا البنيان، وعمروا البلدان، ونحتوا من الجبال بيوتا...»[1]، ويبدو جليا أثر الجانب الديني على لفظه من خلال الوعظ الذي كان يبثه للقراء بغية التأمل والتدبر في آيات الله الكونية.

✓ **الإشارة إلى بعض المشاهير من العلماء:** اعتنى ياقوت كثيرا بذكر أسماء البلدان مع إيراد نخبة علماء كل منطقة، نحو قوله: «باخرز: ...كورة ذات قرى كبيرة...خرج منها جماعة كثيرة من أهل الأدب والفقه والشعر، منهم: علي بن الحسن الباخرزي صاحب كتاب دمية القصر»[2]، وبهذا يخرج القارئ لمعجمه بكّم هائل من المعلومات في مختلف الميادين المعرفية.

✓ **اعتماده لمصادر أصيلة موثوقة:** استمد ياقوت مادة معجمه من مجموعة متنوعة من المصادر، إذ قال:«نقلتُ من دواوين العرب والمحدَثين...وتفاريق الكتب، وما شاهدته في أسفاري»[3]، فكان بذلك حريصا على تتبع الأخبار والتأكد من صحة الرواة لئلا يعتري معجمه الزيف أو ادّعاء نسبة لغير صاحبها.

---

[1]-الحموي، معجم البلدان، ص7.

[2]-نفسه، ص313.

[3]-نفسه، ص11.

ثالثا: المكون التعريفي ومواصفاته:

يحرص المعجمي بعد جمع مادته وتمحيصها جيدا على تأليف المداخل بطريقة منتظمة تُمكّن القارئ من استيعاب ما تم حشده داخل المعجم من المعارف المتنوعة بحيث: «يجب على المعجمي أن يضع مستعمل المعجم نصب عينيه، ويحاول أن يخلق صداقة بينه وبين مستعمل المعجم»[1]، وذلك بتناوله لمفردات اللغة من شتى الجوانب وتبسيطها من خلال تجسيدها في خاصية التعريف المعجمي الذي يعدّ أحد أهم مكونات المعجم الجغرافي التي لا غنى للمعجمي عنها بأي شكل من الأشكال، كونه المسئول عن تحديد معنى المفردة وجلاء ما يكتنفها من غموض، إذ بواسطته يبلغ القارئ مبتغاه ويدرك ماهية المفردة بكل يسر، ويتّخذ المكون التعريفي عموما صورا شتى وذلك بحسب طبيعة الشيء المعرّف، وقد استعمل ياقوت بدوره ضروبا متنوعة منه بهدف بسط مادته وإخراجها للناس في أبهى صورها، ولعلّ أهم ما ورد ما يلي:

1_التّعريف اللغوي: يحتل هذا النمط من التعريفات النسبة الأكبر استعمالا في معظم المعاجم كونه يمثل: «مجموع الصفات التي تكّو ن مفهوم الشيء ممّزا عّما عداه»[2]، وذلك بتقديم معنى للفظ المراد شرحه بحيث يجلي عنه كل غموض يحيط به، وهذا النمط بدوره يتفّرع إلى أقسام متنوعة، ونلحظ اعتماد ياقوت أغلبها في معجمه وهي كالتالي:

_التعريف بالمرادف: يتم خلاله توضيح اللفظ بلفظ مكافئ أبين وأوضح منه، يكون شاملا مانعا، وهو ما جاء في تعريف الجرجاني له قائلا: «أن يكون اللفظ واضح الدلالة على معنى

[1]-أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص97.

[2]- نفسه، ص121.

فيفسر بلفظ أوضح دلالة على ذلك المعنى...»[1]، والملاحظ توفر هذا النمط بكثرة في جل المعاجم العربية، وقد استخدم بشكل واسع في معجم البلدان، ومن الأمثلة على ذلك: «ثُهرة الوادي: وسطه»[2]،«الجشّ: القوس الخفيفة»[3]، «الحُودُ: القطا الواردة للماء»[4]، «الأحور: هو سواد العين»[5]، «الأسحم: هو الأسود»[6]، «الأشفار: جمع شُفر، وهو الحدّ»[7]، «جذم: الجذم: القطع»[8]، «جمل: بلفظ الجمل وهو البعير»[9]، «جَندع: وهو االرّجل القصير»[10]، «الكظم: إمساك الفم»[11]، «الزَّور: هو الميل والاعوجاج»[12]، يظهر مما سبق اعتماد ياقوت لنمط التعريف بالمرادف بنسبة كبيرة ذلك أنه من الأنماط التي تسهلّ على القارئ وتمكنه من إدراك المعنى دون مراوغة أو إجهاد للذهن فيكتفي فيه المعجمي بتقديم مفهوم مكافئ للفظ بحيث لا يدخل غيره معه في التعريف ذاته ومنه تجسيد لمبدأ الإيجاز والاختصار الذي نادى به أحمد مختار عمر كما تقّدم بياننا له.

---

[1]- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات: قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة 2004. ص56.

[2]- الحموي، معجم البلدان، ج1، ص82.

[3]- نفسه، ص102.

[4]- نفسه، ص110.

[5]- نفسه، ص117.

[6]- نفسه، ص176.

[7]- نفسه، ص198.

[8]- نفسه، ج2، ص116.

[9]- نفسه، ج2، ص163.

[10]- نفسه، ج2، ص170.

[11]- نفسه، ج2، ص279.

[12]- نفسه، ج3، ص157.

_ **التعريف بالاشتقاق:** يلجأ المعجمي عادة إلى هذا النمط من التعريفات لتبسيط المفردة للقارئ، بحيث: « يدخل في التأصيل الاشتقاقي بيان ما يأتي: أصل الكلمة سواء كان وطنيا أو أجنبيا، مع بيان اللغة أو العائلة اللغوية المصدر... وشكل الكلمة أول دخولها اللغة مع بيان ما لحقها من تطور صوتي أو دلالي»[1]، فيتم إيراد المادة الصرفية الأصلية للفظ المراد شرحه ومنه إرشاد القارئ إلى مبتغاه دون أية مشقة أو عنت من خلال تتبع مصدر اللفظ، ومن أمثلة ذلك في معجم البلدان قوله: «التّجّند: االتجمع، وجّندتُ جندا أي جمعت جمعا»[2]،«الأخرجان: تثنية الأخرج، من الخرج: وهو لونان، أبيض وأسود»[3]،«الأدنيان: تثنية الأدنى أي الأقرب، من دنا يدنو»[4]،«البئر:...بأرت بئرا إذا حفرتها، واشتقاق ذلك من بأرت الشيء وابتأرته إذا خبّأته وادّخرته...»[5]،«بَدِّر: بالفتح ثم السكون...يقال: قد بَدَر فلان إلى الشيء وبادر إليه إذا سبق...ويقال بادرت من فلان بادرة أي سبقت فعلة عند حدّة منه في غضب بلغت الغاية في الإسراع...»[6]،«بضّة: بضّ الماء يبضّ بضيضا إذا سال قليلا قليلا...»[7]، يعتمد المعجمي عادة على التعريف بالاشتقاق ليمكّن القارئ من معرفة المعاني بالعودة إلى أصل الكلمة وجذرها الأول المستخرجة منه وبالتالي إدراك القارئ للمعنى من تلقاء نفسه، ويستند المعجمي في هذا النمط على معرفة القارئ المسبقة بدلالة المشتق

[1]- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص152.
[2]- الحموي، المرجع السابق، ج1، ص103.
[3]- نفسه، ج1، ص120.
[4]- نفسه، ج1، ص127.
[5]- نفسه، ج1، ص298.
[6]- نفسه، ج1، ص357.
[7]- نفسه، ج1، ص443.

والدلالة الصرفية الأولى للكلمة بحيث لا ُ فهم المراد للوهلة الأولى وإنما بعد التأني ومتابعة التأصيل الجذري للكلمة واستنباط أول ظهور لها في اللغات.

_ **التعريف بكلمة:** يتم فيه شرح المفردة بكلمة واحدة لا غير فيتحدد المعنى المراد لدى القارئ، وقد استخدمه ياقوت بكثرة في معجمه ومن أمثلة ذلك نذكر: «الحبل:الأمان»[1]، «الَحصان: الامتناع»[2]، «الَعلاَّق: الظليم»[3]، «دار السلام: الجنّة»[4]، «الضراء: الكلاب»[5]، «الزّو: القدر»[6]، «الطّوى: الجوع»[7]، «الوبيض: البريق»[8]، «الوجّ: السرعة»[9]، ففي هذا النمط يكتفي المعجمي بإيراد كلمة واحدة مكافئة للكلمة المراد شرحها وغالبا ما تكون هذه الأخيرة غامضة مبهمة لقلة ورودها في الاستعمال اللغوي فيقوم المعجمي بإيضاحها من خلال شرحها بكلمة شائعة في الوسط اللغوي وأقرب لفهم القراء، فمنه كلمة" الوجّ" في قول ياقوت كلمة تبدو غريبة بعض الشيء للقارئ خصوصا إذا كان لا يمتلك رصيدا لغويا كافيا، فإذا ما تأّمل في المرادف المستعمل بكثرة "السرعة" انجلى عنه الغموض المشكل.

---

[1]- الحموي، معجم البلدان، ج2، ص214.
[2]- نفسه، ج2، ص263.
[3]- نفسه، ج2، ص310.
[4]- نفسه، ج2، ص421.
[5]- نفسه، ج3، ص4.
[6]- نفسه، ج3، ص159.
[7]- نفسه، ج4، ص45.
[8]- نفسه، ج5،ص341.
[9]- نفسه، ج5، ص361.

_ **التعريف بالضّد:** يُقصد به إيراد اللفظ النقيض للكلمة المراد شرحها، يعرّفه حلاّم الجيلالي بقوله: «هو التعريف بالمغايرة أو السّلب أو بالمقابل»[1]، بحيث يتمكن القارئ من إدراك المعنى بمجرد لمح النقيض، ونلحظ بعد التأمل في معجم البلدان اعتماد هذا النمط بكثرة كونه يشد انتباه القارئ ويحفزه على إدراك المعنى من تلقاء نفسه ومنه يزّوده بالثروة اللغوية الهائلة، ومن الأمثلة الواردة نذكر: «الأبيض: هو ضد الأسود»[2]، «الأمين: ضد الخائن»[3]، «إنسان: بلفظ الإنسان ضد البهيمة»[4]، «الجاهلي: ضد العاقلي»[5]، «الجديد: ضد العتيق»[6]، «حرام: ضد الحلال»[7]، «المرّة: ضد الحلوة»[8]، «السَّفر: ضد الإقامة»[9]، «العاصي: ضد الطائع»[10]، «العسير: بلفظ ضد اليسير»[11]، وهكذا بّين ياقوت إمكانية معرفة الشيء بضدّه من خلال ما أورده في معجمه وفي مواضع متفرقة من ذكر للمفردة وإرفاقها بنقيضها، والظاهر أن هذا النمط من التعريفات كما نادى عديد من المختصين يستند وبشكل كبير على المعرفة القبلية للقارئ إذ يتعسّر على غير الناطق بتلك اللغة فهم معاني المفردات من الوهلة الأولى.

---

[1]- حلام الجيلالي، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1999، ص114.

[2]- الحموي، معجم البلدان، ج1، ص85.

[3]- نفسه، ج1، ص256.

[4]- نفسه، ج1، ص265.

[5]- نفسه، ج2، ص96.

[6]- نفسه، ج2، ص115.

[7]- نفسه، ج2، ص234.

[8]- نفسه، ج2، ص261.

[9]- نفسه، ج2، ص224.

[10]- نفسه، ج4، ص67.

[11]- نفسه، ج4، ص125.

_ **التعريف بالإحالة:** يعتمد المعجميون على هذا النمط من التعريفات بشكل واسع، بحيث:«يتم التعريف بإحالة القارئ إلى مدخل آخر على أساس أن الكلمة المحال عليها تتضمن تعريفا يطابق تعريف الكلمة المحالة...»[1]، وذلك بتوجيه القارئ إلى مداخل أخرى متقدمة غالبا تحمل المعنى التام للكلمة المراد شرحها تجنبا للتكرار، ومن أمثلة ذلك في معجم البلدان: «طُوس: ...اشتقاقه في الذي قبله، وهي مدينة بخراسان...»[2]،« العَتيكّية: اشتقاقه كالذي قبله لأنه مثله...»[3]،«مخاليف اليمن: ...فسر اشتقاقه في أول الكتاب، وقد ذكرنا ما أُضيف مخلاف إليه في مواضعه في الكتاب»[4]، إذ لا يظفر القارئ بمعنى المفردة إلا بالعودة إلى موضع آخر سابق له ويكون الموضع المحال عليه أكثر تفصيلا وإيضاحا للمفردة وهو بذلك يقتصد في حجم المعجم ويتجنب التكرار الذي قد يؤدي إلى السآمة والملل، فكما هو موضح في كلمة "طوس" التي ذكر ياقوت أن معناها وارد في ما سبق، أي في:«طوسان: ...والطُّوس، بالضم، دواء ودوام الشيء»[5]، إذ لا يبلغ القارئ كنه مفردته إلا بالعودة إلى هذا الموضع الذي يجلي عنها كل غموض يكتنفها.

_ **التعريف بالترجمة:** حدّد المختصون لهذا النمط ميزات خاصة على خلاف سائر الأنماط، بقولهم: «الأصل في هذا النوع من التعريف أن يكون مختصا بالمعاجم الثنائية أو المتعددة الألسن. أما المعاجم الأحادية فيكون التعريف فيها بلغة واصفة من اللسان نفسه...»[6]، فلا يعالج مفردات لغات أجنبية عن اللسان الذي يعتمده، وقد تمكن ياقوت من شرح العديد من الألفاظ والتنقيب عن

---

[1]- حلام الجيلالي، المرجع السابق، ص116.
[2]- الحموي، المرجع السابق، ج4، ص49.
[3]- نفسه، ج4، ص84.
[4]- نفسه، ج5، ص67.
[5]- نفسه، ج4، ص49.
[6]- حلام الجيلالي، المرجع السابق، ص118.

أصل اعتمادها الأول، نحو:«بيُروزكوه: ...معناه بالفارسية جبل أزرق: اسم لقلعتين حصنيتين...»[1]، «دَر إسفيد: معناه بالفارسية باب أبيض»[2]، «السَّدير: ...هو نهر ويقال قصر، وهو معرب وأصله بالفارسية سِه دِلَه...»[3]، «شاذكوه: شاذ معناه الفرح، وكوه بالفارسية الجبل: وهو موضع من جرجان»[4]، لجأ ياقوت إلى هذا النوع كي يبّين الأصل اللغوي لكثير من الألفاظ ويلاحظ غلبة الأصل الفارسي لجل كلماته المختارة نحو: "در إسفيد" التي ترجمها ووضّح أنها كلمة فارسية الأصل وتعني عندهم "باب أبيض"وذلك بعد التنقيب عن مصدر ظهورها الأول.

2_التعريف بالسياق: يظهر قصور التعريف المعجمي بالأنماط السابقة أمام التعريف بالسياق في كون التعريف بالأنماط السابقة لا يبين عن سياق الكلمة الواردة فيه وبالتالي تعسر فهمها، على خلاف التعريف بالسياق الذي: «يهدف إلى تحديد معنى الكلمة من خلال التركيب الذي تقع فيه، بتحليل العناصر اللغوية السابقة واللاحقة»[5]، إذ يتميز نمط التعريف بالسياق عن غيره بخاصية بيان سياقات الكلمة أثناء التعريف وقدرة القارئ على إدراك المعنى انطلاقا من فهم السياق المحيط بها، وهذا النمط بدوره ينقسم إلى ضروب متنوعة منها:

_ **التعريف بالسياق اللغوي:** يستند فيه المعجمي لشرح المفردة على نصوص متأصلة في اللغة يتجلى في طياتها معنى المفردة المراد شرحها، والنصوص الأصلية المعتمدة في اللغة

[1]- الحموي، المرجع السابق، ج1، ص526.
[2]- نفسه، ج2، ص447.
[3]- نفسه، ج3، ص201.
[4]- نفسه، ج3، ص305.
[5]- حلام الجيلالي، المرجع السابق، ص187.

العربية كما هو معلوم أربعة وهي: القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، كلام العرب شعرا ونثرا، استخدم ياقوت هذه السياقات لمعالجة مادته بنسب متفاوتة، منها ما يلي:

- **التعريف بالسياق اللغوي (من القرآن):** من أمثلة ذلك في المعجم نذكر: «الأمين: ...المذكور في االقرآن المجيد، فقال جلّ وعلا:﴿ **وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ**﴾، هو مكة»[1]، «الأيكة: التي جاء ذكرها في كتاب الله عز وجل: ﴿**كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ** ﴾، قيل هي تبوك التي غزاها النبي صلى الله عليه وسلم، آخر غزواته...»[2]،«حصير: ...والحصير المحبس في قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا**﴾ **...»**[3]، حيث أبان ياقوت عن معنى لفظ "حصير" بقوله: محبس، وأردفه بسياق من القرآن الكريم حيث تظهر جهّنم محبس للكافرين ومثواهم في الآخرة، ويقول: «الحناجر: جمع حنجرة، وهو الحلقوم، قال الله تعالى: ﴿**إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ**﴾**...»**[4]، يظهر اعتماد ياقوت للشاهد القرآني قصد إثبات صدق ما ذهب إليه خصوصا وأن القرآن مميز عن غيره من المصادر كونه كلام الله عز وجل المعجز بلفظه وله بذلك قيمة كبيرة في نفوس العرب.
- **التعريف بالسياق اللغوي (من الحديث):** استند ياقوت على جملة من الأحاديث النبوية لشرح معاني ألفاظه المختارة، ومن ذلك قوله: «الإسكندرية: وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: خيرُ مسالحكم الإسكندرية»[5]، «دِمياط:...عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله، صلى الله غليه وسلم: يا عمر إنه سيفتح على يديك بمصر ثغران، الإسكندرية

---

[1]- الحموي، المرجع السابق، ج1، ص256.
[2]- نفسه، ج1، ص291.
[3]- نفسه، ج2، ص267.
[4]- نفسه، ج2، 309.
[5]- نفسه، ج1، ص183.

ودِمياط...»[1]، وقد اعتمد هنا ياقوت سياق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى توضيحا لبعض ما غمض من كلام العرب منها: " دمياط" التي أشكل الوصول لمعناها لولا أنها وردت في الحديث النبوي على أنها اسم منطقة بمصر.

- **التعريف بالسياق اللغوي (من الشعر):** يظهر هذا النمط في المعجم بنسبة كبيرة جدا حتى لا تكاد تخلو صفحة من ذكر بعض الأبيات الشعرية ذلك لأن الشعر لصيق بالعربي منذ نشأته، ومن أمثلته نجد: «أسود اللّم: اسم جبل، قيل فيه:

تبصّر خليلي هل ترى من ظغائن رحلن بنصف الليل من أسود اللّم؟»[2]

«بِراق لِوى سعيد: قال الطِّرِماح:

بأبرق من بِراق لوى سعيد تأزّر وارتدى بالأقحوان»[3]

«الرّدّ: موضع في قول بشر:

فمن يك سائلا عن دار بشر فإن له بجنب الرّد بابا»[4]

اقتصر ياقوت في استنباطه للشاهد الشعري على الأبيات التي تحوي أسماء الأماكن والبلدان فقط، حيث شرح مصطلح " أسود الدم" بناء على السياق الشعري الوارد فيه فتبين أنه يطلق على جبل معين، وهكذا أبان عن فحوى المفردة الصحيح.

---

[1]- الحموي، معجم البلدان، ج2، ص473.

[2]- نفسه، ج1، ص192.

[3]- نفسه1، ص366.

[4]- نفسه، ج3، ص40.

• **التعريف بالسياق (من النثر):** فبالإضافة إلى النصوص الشعرية نلحظ أيضا طغيان النصوص النثرية في مواضع متفرقة من المعجم، نحو:«أوذغست:... قال ابن حوقل: دون لَمطة من بلاد المغرب تأَمدلت، وعلى جنوبها أوذَغَست مدينة، وعلى سمتها في نقطة المغرب أو ليل، وبين سجلماسة إلى أوذغست مسيرة شهرين على سمت المغرب...»[1]، وبهذا تمكّن ياقوت من تحديد موضع "أوذغست" بالعودة إلى كلام العرب وثقاتهم، وذكر أيضا: «جَدَّاء: بالفتح، والتشديد، والمد، قال أبو الفتح نصر: موضع بنجد وأظنه أيضا موضعا شاميا...»[2]، سعى ياقوت بالاعتماد على هذا النمط التعريفي إلى إثبات أن لكل لفظ دلالة معينة في الاستعمال اللغوي في عصور ومجتمعات متباينة ولا يتأتى ذلك إلا بعد البحث والتنقيب في كلام العرب شعرا ونثرا.

_ **التعريف بالسياق الاجتماعي:** يحتل هذا النمط التعريفي قيمة كبيرة في نفوس القراء، كونه: «يمنح الكلمة معنى حيا ينبض بالواقع الاجتماعي الذي تداولت به الكلمة في أدف ملامحها، ويحمل إلينا سياق الحال الذي عاشته دلالتها نطقا بين الناس»[3]، ذلك أن اللغة تتطور بتطور الزّمن فتظهر كلمات جديدة وفي المقابل تضمحل أخرى، ومنه نجد دلالة الكلمة تتغير من مجتمع لآخر بحسب غرض المتكلمين بها ومرادهم منها، وقد استعان ياقوت كثيرا بتلك السياقات الاجتماعية لتوضيح معاني مفردات عدة، نحو:«مُليحة:...تصغير ملحة...قيل: مليحة موضع في بلاد تيم»[4]،

---

[1]- الحموي، معجم البلدان، ج1، ص277.

[2]- نفسه، ج2، ص112.

[3]-رياض زكي قاسم، المعجم العربي(بحوث في المادة والمنهج والتطبيق)، ط1، دار المعرفة، بيروت 1987. ص254.

[4]- الحموي، المرجع السابق، ج5، ص196_197.

كذلك في مثال: « مِنًى: بالكسر، والتنوين...قيل: لأنّ آدم عليه السلام، تمنّى فيها الجنّة...»[1]، فتسمية "مِنى"حسبه لم يكن من محض الصدفة وإنما كان هناك سببا وجيها ورائه جعل الناس يجمعون عليه وبعد التنقيب تبّين أن آدما عليه السلام تمنّى فيها الجنة فهي مشتقة منها، ويظهر اهتمام ياقوت بهذا النمط التعريفي من خلال ما أورده من قصص ونوادر في شرح كثير من المفردات وإن كان لا يؤمن بصحة تلك الشواهد إلا أنه قصد تعميم الفائدة ونفع القارئ كما أبّنا سابقا.

3_ التعريف الاصطلاحي: يختص هذا النمط من التعريفات غالبا بمعالجة مصطلحات فرع معين من فروع المعرفة الخاصة، وقد تناول ياقوت بعضا من هذه المصطلحات، نحو:

_ **تعريف مصطلحات الفقهاء:** أورد ياقوت بعض المصطلحات المتعلقة بالمجال الفقهي، قائلا: «الصّوائم: الصّوم: الإمساك، والصّائم: الماسك، وجمعه صوائم، ومنه سمي الصوم لأنّه يمسك عن الأكل...»[2]، إذ أبان عن معنى الصوم باعتباره فريضة من فرائض الدين الإسلامي، إضافة إلى قوله: «الشّرع:... والشرع: الطريق، ومنه قوله تعالى: ﴿**لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا**﴾**...»**[3]، «صاع: بالعين المهملة، روي عنه صلى الله عليه وسلم، أنّه كان يتوضأ بالُمدّ ويغتسل بالصّاع...»[4]، فلم يقتصر في معالجته على الجانب الجغرافي فقط وإنّما أخذ من كل علم بقدر معين ولهذا جاء معجمه بمثابة موسوعة معرفية يغرف منها القارئ حيث شاء.

---

[1]- الحموي، معجم البلدان، ج5، ص198.

[2]- نفسه، ج3، ص432.

[3]- نفسه، ص335.

[4]- نفسه، ص389.

_ **تعريف مصطلحات النحاة:** أولى ياقوت عناية خاصة بضبط الألفاظ طبقا للقواعد التي سنّها النحاة وأجمعوا على صحتها، منها مايلي: «صَهيد:...والذي عليه النحويون في الأمثلة أنه صَهيد على وزن فيعل، وهو من قراءات الكتاب»[1]، «عِزويت: ...ذهب النحويون إلى أنّ الواو في ذوات الأربعة لا تكون إلا زائدة مثل: قسورة وجرول وترقوة إلّا أن يكون مضاعفا نحو قوقيت وضوضيت، قالوا: وعِزويت فِعليت مثل عِفريت وكبريت فلا يكون من هذا الباب لأن الواو فيه أصل...»[2]، وبهذا يتم بيان النطق السليم للمفردة ومعناها بناءً على الباب الذي صنّفها النحاة فيه وميزانها الصرفي الصحيح، كما أورد أيضا قوله: «قَرورى:... قال سيبويه: هو فَعوَل فيكون أصله على هذا من القرو وهو القصد، وقروت السهم أي قصدته...»[3]، عمد ياقوت إلى لتجسيد هذا النمط التعريفي بعد ملاحظته الخلط الواقع من طرف عامة الناس في نطق بعض الكلمات لجهلهم بالميزان الصرفي الصحيح للكلمة.

_ **تعريف مصطلحات المنجمين:** تناول ياقوت بعض المصطلحات الخاصة بالتنجيم لكنها بنسبة أقل مقارنة بغيرها، نحو قوله: «الإسكندرية:... قال المنجمون: طول الإسكندرية تسع وستون درجة ونصف، وعرضها ست وثلاثون درجة وثلث...»[4]، وبيان هذا في معجمه دليل على سعة اطلاعه بكتب علم الفلك، إضافة إلى قوله: «خطّ الاستواء: الذي يعتمد عليه المنجمون، قال أبو الريحان: إنه يبتدئ من المشرق في جنوب بحر الصين والهند ويمر ببعض الجزائر التي فيه حتى إذا جاوز حدود الزّنج الذهبية من الأرض يمر على جزيرة كَلَه... وقال غيره: خط الاستواء من

---

[1]- الحموي، معجم البلدان، ج3، ص436.

[2]- نفسه، ج4، ص119.

[3]- نفسه، ج4، ص334.

[4]- نفسه، ج1، ص183.

المشرق إلى المغرب وهو أطول خط في كرة الأرض كما أن منطقة البروج أطول خط في الفلك...»[1]، هذا وقد أشار ياقوت في مقدمة كتابه وتعريفه به إلى حاجة المنجّم الماسة للمادّة الجغرافية، ويظهر ذلك جليا من خلال معالجته لمصطلحات التنجيم والفلك...

4_ التعريف المنطقي: يستعين المعجمي بهذا النمط من التعريفات لتبيين الخصائص الجوهرية التي تميز اللفظ عن غيره بحيث لا يدخل غيره معه في التعريف ذاته، وقد عُوف أنه: « يهدف التعريف المنطقي أساسا إلى معرفة ما الذي يجعل الشيء شيئا جوهريا، أي الوقوف على جنس الشيء وفصوله الذاتية...»[2]، فيتم فيه تحديد جنس اللفظ المراد "حيوان، نبات..." ثم يليه تحديد السمات الجوهرية بوصفه" حيوان عشبي، لحمي..."، وهكذا إلى أن تتشكّل صورته في ذهن القارئ، ويظهر اعتماد ياقوت هذا النمط التعريفي بشكل هائل، نحو:

_ **التعريف المنطقي لجنس الحيوان:** من أمثلته في معجم البلدان: «المهر: ولد الفرس»[3]، «العسعس: اسم الذئب لأنه يعسعس بالليل أي يطوف...»[4]، «الحريش: ... دابّة لها مخالب كمخالب الأسد ولها قرن واحد في هامتها، ويسميها الناس كركدن...»[5]، «خِرنِق: هو الأنثى من الثعالب...»[6]، «الأفعى: حيّة السهل»[7]، «الدّبا: الجراد قبل أن يطير...»[8]، «الهيثم: فرخ العقاب»[1]،

---

[1]- الحموي، معجم البلدان، ج2، ص378_379.
[2]- حلام الجيلالي، المرجع السابق، ص129.
[3]- الحموي، المرجع السابق، ج1، ص256.
[4]- نفسه، ج2، ص247.
[5]- نفسه، ج2، ص250.
[6]- نفسه، ج2، ص354.
[7]- نفسه، ج2، ص372.
[8]- نفسه، ج2، ص435.

إذ يحدّد جنس الحيوان بذكر أهم الخصائص المميزة له عمن سواه كتعريف "الهيثم" على أنّه مصطلح يطلق على صغار العقاب لا غير، فلا يصح أن يستعمل للدلالة على حيوان آخر.

_ **التعريف المنطقي لجنس النبات:** ورد هذا النمط بكثرة لارتباطه الشديد بالمجال الطبيعي والجغرافي ومن أمثلته: «القِضَة: بالتخفيف: فهو شجر من شجر الحمض، ويجمع على قضين...»[2]، «الحُرباث:... نبت من أطيب المراتع»[3]، «رُغل: هو نبت من الحمض ورقه مفتول...»[4]، «رَند: اسم نبت طيب الريح...»[5]، «السِّلق: بلفظ النبت الذي يُطبخ به...»[6]، «الشِّيح:... نبت له رائحة عطرة»[7]، «العرفج: نبت من نبات الصيف لين أغبره له ثمرة خشناء كالحسك...»[8]، «الهَرم:...ضرب من النبات فيه ملوحة وهو من أذلّ الحمض وأشدّه استبطاحا على وجه الأرض، وبه يُضرب المثل فيقال: أذلّ من هَرْمة...»[9]، وتوظيف ياقوت لهذا النمط بكثرة دليل انعكاس رحلاته وتجاربه الشخصية وأثرها في بناء معجمه، إذ حاول قدر المستطاع حشد أكبر قدر ممكن من أسماء النباتات مع ذكر سمات وفوائد كل نبتة يصادفها أو تقع على مسامعه تعميما للفائدة وتوسيعا للجانب المعرفي للقارئ.

---

[1]- الحموي، معجم البلدان، ج5، ص421.
[2]- نفسه، ج1، ص432.
[3]- نفسه، ج2، ص236.
[4]- نفسه، ج3، ص53.
[5]- نفسه، ج3، ص73.
[6]- نفسه، ج3، ص238.
[7]- نفسه، ج3، ص379.
[8]- نفسه، ج4، ص105.
[9]- نفسه، ج5، ص403.

_ **التعريف المنطقي لأجناس أخرى:** عمد ياقوت إلى وضع تعريف منطقي لبعض الأجناس المتفردة، نحو:«الخليع: لحم يطبخ بالتوابل»[1]، «الحصاء:...أرض حصّاء: لا نبات فيها...»[2]، إذ لم يتوقف عند جنسي الحيوان والنبات فقط وإنما جاوزهما للحديث عن أجناس خارجية كتعريفه للخليع على أنه ضرب من اللحوم التي تستعمل في الطّبخ بعد التجفيف وإضافة التوابل لها.

وبهذا العرض نختم دراستنا القائمة حول التعريف المعجمي في معجم البلدان على أمل أن نكون قد وفّقنا في بيان بعض أشكال التعريف التي اعتمدها ياقوت في معجمه الجم النفع، الجزيل الفائدة.

[1]- الحموي، المرجع السابق، ج2، ص98.

[2]- نفسه، ج2، ص262.

خاتمة:

لقد سمحت دراستنا الوجيزة لموضوع "التعريف المعجمي في معجم البلدان" بالوقوف على جملة الحقائق والنتائج التالية:

يعد ظهور المعجم أعظم خطوة شهدها العرب في مجال التأليف اللغوي ذلك لأنه يشرح ما اُستبهم من كلامهم ويعزز قدرتهم التعبيرية من خلال تزويدهم بالرصيد اللغوي الهائل، ويظهر اهتمامهم به من خلال تفّننهم في أشكال تخريجه.

إن معجم البلدان من أجلّ وأنفس كتب التراث العربي التي حظيت بإقبال واهتمام عديد من الباحثين من مختلف التخصصات نظرا للمادة الثرية الدسمة التي عُوضت به والأسلوب البديع الذي امتاز به ياقوت في معالجة وترتيب مادته.

استمدّ ياقوت مادة معجمه من مجموعة مصادر متنوعة باعتماد القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، كلام العرب شعرا ونثرا، الرحلات الشخصية...لذلك جاء بمثابة موسوعة معرفية ينهل منها القارئ حيث شاء.

يشكّل التعريف المعجمي الركّن الأساس في بناء المعاجم ومصدر إقبال القّراء للمطالعة، كونه يهدف لكشف اللثام عن مكنون اللفظة وتفسير فحواها.

أجاد ياقوت كثيرا في ضبط وشرح مادّته المعجمية من خلال توظيفه للتعريف المعجمي بمختلف أنماطه، حيث:

خاتمة:

- استعمل نمط التعريف اللغوي على اختلاف ضروبه بشكل واسع وذلك بتوفر كل من نمط التعريف بالمرادف، التعريف بالاشتقاق، التعريف بكلمة، التعريف بالضد، التعريف بالإحالة تيسيرا على القارئ بلوغ معنى المفردة بسهولة.

- اعتمد نمط التعريف بالترجمة لبيان أصل الكلمة ومصدر ظهورها الأول ويظهر غلبة الأصل الفارسي لكثير من مفردات معجمه.

- أبان ياقوت عن حاجة مستعمل المعجم الماسة لمعرفة سياق عديد من الكلمات ولذلك حرص على توظيف كل من السياق اللغوي اعتمادا على نصوص القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، كلام العرب شعرا ونثرا...إضافة إلى السياق الاجتماعي بإيراد قصص ونوادر طريفة.

- كما عالج مصطلحات مجالات متنوعة آخذا بذلك من كل علم بطرف، كمصطلحات علم الفقه، علم النحو وعلم التنجيم...

- استعان بنمط التعريف المنطقي لشرح معاني مفردات عديدة وتحديد جنس كل منها على حدة بذكر خصائصها وسماتها الجوهرية، نحو التعريف المنطقي لكل من جنس الحيوان، جنس النبات...

وختاما أرجو أن أكون قد وفقت ولو بالقدر القليل في إخراج هذا البحث المتواضع وتعميم الفائدة لكل باحث ولو أنه ما يزال بحاجة إلى من يواصله ويتمم المسير والتنقيب فيه، ونحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا لهذا، والله المستعان المرجو لكل خير.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الحديث النبوي الشريف.

قائمة الكتب:

1. ابن الشعار المبارك بن أحمد الموصلي، قلائد الجمان في فرائد شعر هذا الزمان، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ألمانيا 1990.
2. ابن المستوفي، أبو البركات المبارك، بن أحمد الأربلي، تاريخ إربل، تح: سامي الصقار.
3. ابن النجار أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي، ذيل تاريخ بغداد، تح: قيصر أبو فرج، دار الكتب العلمية، بيروت.
4. ابن حويلي الأخضر ميدني، المعجمية العربية في ضوء مناهج البحث اللساني النظريات التربوية الحديثة، دار هومة، الجزائر 2010.
5. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، لبنان 1978.
6. ابن فارس ابن زكريا أبو الحسن، المقاييس في اللغة، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت.
7. ابن فارس أحمد بن زكرياء أبو الحسن، مجمل اللغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت 1986.

8. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

9. الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد ابن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

10. السعدي عباس فاضل، ياقوت الحموي دراسة في التراث الجغرافي العربي مع التركيز على العراق في معجم البلدان، دار الطليعة، بيروت 1992.

11. الصاحب بن عباد بن العباس، المحيط في اللغة، تح: أبو القاسم الطالقاني.

12. العزاوي عباس، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد 1957.

13. المنذري زكي الدين عبد العظيم، التكملة لوفيات النقلة، تح: بشار عواد معروف، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت 1981.

14. أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر العربي، بيروت 1982.

15. أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الحديث، القاهرة 2008.

16. أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب 1993.

17. أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت 1977.

18. أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت 1987

19.أحمد بن عبد الله الباتلي، المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض 1992.

20.أحمد عبد الرحمان عباد، عوامل التطور اللغوي، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر، لبنان 1983.

21.أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، ط2، دار العلم للملايين، بيروت 1979.

22.أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ط6، عالم الكتب، القاهرة 1988.

23.أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ط2، عالم الكتب، القاهرة 2009

24.أغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية 1957.

25.إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993.

26. إبراهيم بن مراد، دراسات في المعجم العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993.

27.بولمطافين إبراهيم، المفاهيم الحديثة للإقليم الجغرافي، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا لأساتذة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2005.

28.جواد حسني سماعنة، المعجم العلمي المختص، مجلة مجمع اللغة العربية، ع75، دمشق.

29.حسن عايل أحمد يحي، معاجم أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة العربية السعودية (دراسة تحليلية وصفية)، جامعة الملك عبد العزيز، كلية المعلمين بمحافظة جدة.

30.حلام الجيلالي، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1999.

31.حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعاجم، ط1، دار النهضة العربية، بيروت 1998.

32.حميدة عبد الرحمان، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، ط2، دار الفكر، سوريا 1980.

33.رقية عبد الله أحمد أبو ليل، ياقوت الحموي وكتابه معجم البلدان الأوضاع الاقتصادية دراسة تاريخية، كلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية، فلسطين 2011.

34.رياض زكي قاسم، المعجم العربي (بحوث في المادة والمنهج والتطبيق)، ط1، دار المعرفة، بيروت 1987.

35.عباس إحسان، دراسة في ياقوت وكتابه معجم الأدباء، منشورة في الجزء السابع من كتاب معجم الأدباء لياقوت، دار الغرب الإسلامي 1993.

36.عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، ط1، دار الصفاء، عمان 1999.

37.عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ط2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1994.

38.علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ط2، جامعة الملك سعود، الرياض 1991.

39.علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة 2004.

40.لبيب علي، قاموس الجغرافيا، الدار العربية للعلوم، تونس 2004.

41.لحنيكات حميد، المعجم الموحد لمصطلحات الجغرافيا، تقديم وقراءة لسان العرب، 2001.

42.محمد علي سلطاني، التذكرة في المعاجم العربية، دار العصماء، دمشق 2010.

43.محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية، بيروت 1970.

44.مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ط3، دار صادر، لبنان 1955.

45.هاني الصحاني، موضوعات لغوية، دار العصماء، سوريا 2008.

46.يوسف بن عبد العزيز الحميدي، ياقوت الحموي مؤرخا من خلال كتابه معجم البلدان، ط1، منشورات ضفاف لبنان 2014.

الفهرس:

شكر وإهداء : .....

مقدمة: .....أ

الفصل الأول: مهاد نظري (المعجم الجغرافي ماهيته ومواصفاته) .....أ

أولا: مفهوم المعجم: 5
أ-لغة:. 5
ب-اصطلاحا: 5
_أنواعه: 7
أ-المعجم العام: 7
ب-المعجم المختص: 8
_شروطه: 10
_أشكاله: 12
_تقنياته: 14
_التعريف في المعجم المختص: 15
ثانيا: المعجم الجغرافي: 17
_دوافع تأليفه: 17
_مصادر مادته: 20
_طبيعة متلقيه: 22
_في مواصفاته: 24
_تحدد مجاله: 26
_تميز مصطلحاته: 26
_طبيعة مداخله: 27
_ المكون التعريفي: 28

الفصل الثاني: التعريف المعجمي في معجم البلدان 30

الفهرس:

أولا: التعريف بياقوت الحموي: 31
_اسمه: 31
_مولده: 31
_نشأته: 32
_*طلبه للعلم ورحلاته:* 33
_*اتجاهه الفكري:* 40
_*شيوخه وتلامذته:* 41
_*مؤلفاته:* 44
_*وفاته:* 47
ثانيا: التعريف بمعجم البلدان: 48
_ موارده: 50
_*منهجه:* 52
_*مميزاته* 55
ثالثا: المكون التعريفي ومواصفاته: 58
1_التّعريف اللغوي: 58
_التعريف بالمرادف: 58
_التعريف بالاشتقاق: 60
_التعريف بكلمة: 61
_التعريف بالضّد: 62
_التعريف بالإحالة: 63
_التعريف بالترجمة: 63
2_التعريف بالسياق: 64
_التعريف بالسياق اللغوي: 64
_التعريف بالسياق الاجتماعي: 67
3_ التعريف الاصطلاحي: 68
_تعريف مصطلحات الفقهاء: 68
_ تعريف مصطلحات النحاة: 69
_ تعريف مصطلحات المنجمين: 69
4_ التعريف المنطقي: 70
_ التعريف المنطقي لجنس الحيوان:. 70

الفهرس:

_ التعريف المنطقي لجنس النبات: 71
_التعريف المنطقي لأجناس أخرى: 72

خاتمة: 74

قائمة المصادر والمراجع: 76

الفهرس: 81